

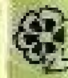
روايات عبير

روزميري كارتر

دون أن تدري



١٦٧



روزميري كارتر

دون أن تدري

١٦٧

روايات عبير

HARLEQUIN — "ABIR" — No. 167

REMA

دون أن تدري

البعض يقول: الغاية تبرر الوسيلة... وكانت غاية كيلي ستانويك ابنة المليونير ان يربح خطيبها غاري رهانه. ولكن الوسيلة التي عرضتها أدت الى عاقبة وخيمة أصيب من جرائها جورج صاحب الفندق بكسور اضطرته لاجراء عملية جراحية.

نيكولاس المغرور المتعجرف له رأي آخر في ابنة المليونير التافهة وسيعاقبها وسيجعلها تدفع ثمن رشوتها لجورج.

كيلي التي لاقت الاوين، باتت تشك في غايتها ووسيلتها، وتكشفت لها رعونة غاري وضاعت في متاهات جديدة... كان الجميع يرغبها لما تملكه من السحر والثراء، ولكن كل ذلك لا شيء أمام نيكولاس وهي لا يهمها أمره اطلاقاً... ام يهمها دون أن تدري؟

لبنان	٧ ل.ل	الكويت	٧٠٠ ف	اليمن	٨ ر	السودان	٨٠٠م
سورية	٨ ل.س	الامارات	٩ د	تونس	١ د	U.K.	£ 1
الأردن	٥٠٠ ف	البحرين	٩٠٠ ف	ليبيا	٧٠٠ د	France	F 10
العراق	٥٠٠ ف	قطر	٩ ر	المغرب	٨ د	Greece	Drs.120
السعودية	٨ ر	عمان	٩٠٠ ب	مصر	٨٠٠م	Cyprus	P 1

REMA

١ - الخطيب الأرعن

- للمرة الأخيرة يا جورج، هل ستأخذنا غداً الى بيرغ؟

- كلا يا سيد سلون. لقد قلت لك ان الأمر غير مأمون. فالطريق ما زال خطراً بعد الأمطار التي هطلت مؤخراً.

خيّم الصمت للحظات قصيرة. وراحت كيلي تقلّب نظرها بين الأوجه دون أن تدري أنها ستتذكر هذا المشهد طويلا في المستقبل القريب. كان خطيبها غاري سلون ذو الوجه المشرق يقف بتحدّ صارخ. بينما جورج اندرسون مسمراً في مكانه يشعر بعدم الارتياح لوجود ضيوف غير مرغوب فيهم. وكان هناك أيضاً شيلا و الكسندر الراغبان في متابعة الطريق لكن دون حماس واضح.

وعلى مقربة من المجموعة كان هناك رجل طويل القامة، على محيّاه

علامات التهكم والهدوء، لم تعرف كيلي عنه شيئاً سوى ان اسمه نيكولاس.

- اذن سأذهب وحدي!

قطع غاري الصمت المطبق بصوت ارتفع تدريجياً، في حين كانت عيناه تلتمعان بالغضب المكتوم.

- كلا يا غاري، (سحبت كيلي نفساً طويلاً وهي تضع يدها على ذراع خطيبها ثم اضافت) أنت لا تستطيع ذلك.

أبعد غاري يدها عن ذراعه بقسوة وصرخ:

- حاولي ان تمنعيني!

وللحظات أحست كيلي وكأنها في معية طفل صغير يلعب لعبته المفضلة. لكن غاري تابع قائلاً:

- يجب ان ألتقط صورة من فوق الصخرة الشاهقة تلك. أنت تعرفين انني راهنت على القيام بهذه المهمة.

وبات من الواضح لكيلي ان غاري راهن بأكثر مما يستطيع، وانه مصمم رغم كل شيء على عدم التراجع.

كثيراً ما كانت كيلي تتساءل بينها وبين نفسها عن مدى معرفتها بخطيبها. فقد كانت علاقتهما عاصفة الى حد أنهما لم يجدا الوقت الكافي لمعرفة شخصية كل واحد منهما على حقيقتها. ومع ذلك فهي تعرف هذا الجانب الجريء والمغامر في شخصيته، وتعرف ارادته الحاسمة. وعندما يقرر شيئاً، فانه سينفذه بدون تردد ومهما كانت التضحيات. وبقدر ما كانت تعجب بهذه الميزة، اذ انها لم تعرف له شبيهاً طيلة حياتها، بقدر ما كانت تشعر بالخوف منها في الوقت نفسه.

أرخت كيلي أصابعها عن ذراعه. فليفعل ما يراه مناسباً، لن

يستطيع أحد الوقوف في سبيله. لقد راهن على انه قادر على التقاط صورة من على قمة الصخرة الشاهقة، وهو مصمم على ربح الرهان غير عابىء بالمخاطر. وكما هو واضح، هناك خطر داهم في المضي قدماً دون دليل... وهذا ما يعرفه غاري تماماً.. وفي مثل هذه الظروف رأت كيلي أن هناك سبيلا واحداً للخروج من المأزق، ألا وهو اقناع جورج اندرسون بأن يكون دليل الرحلة.

- ألا يمكن أن تغير رأيك يا سيد اندرسون؟

وجهت كيلي كلامها الى جورج اندرسون وهي تبتسم بعذوبة مما أظهر سحر عينيها الخضراوين خلف رموش سوداء مسبلة. ولم تكن تعرف انها عندما تبتسم ترقص عيناها فرحاً، وتظهر غمازتاها الفاتنتان، وتبدو أصغر من الثلاثة وعشرين ربيعاً التي هي كل عمرها. وان كانت تستطيع ان تؤثر على الكثيرين، الا ان صاحب الفندق جورج ظل ثابتاً على موقفه.

قال جورج بتجهم:

- لا أستطيع أن أرافقكم.

التفتت كيلي الى غاري مرة أخرى. كان ما يزال في وقفته المتحدية ويداه غارقتان في جيبي سرواله، وقد ازداد اصراراً وعناداً. ولا يبدو عليه انه مستعد للتنازل...

سحبت كيلي نفساً عميقاً مرة أخرى. انها تكره استعمال مالها للحصول على ما تريد، لكن يبدو أن هذه المرة ستكون استثناء. فهناك أولا سلامة غاري. وبالمقابل يبدو على جورج اندرسون انه واقعي وعملي في التعامل مع الناس. فاذا لم يكن قادراً على تقبل الموقف، فهو بلا شك مستعد للتأقلم معه. لذلك قالت:

- انا سنجزيك العطاء اذا رافقتنا!

بدا اهتمام على وجه جورج، في حين تركزت كل الأنظار نحو كيلي التي وجدت لشدة استغرابها أن اهتمامها تركز على نيكولاس، الذي كان يجلس الى طاولة مجاورة ويحدق فيها بعينين ثاقبتين.

رفعت رأسها مجدداً والتفتت الى جورج، ثم أخذت تشرح له بالتفصيل قيمة المبلغ الذي ستدفعه له اذا ما رافق المجموعة الى الجبل.

ردّ جورج في خطوة أولى نحو الاذعان:

ـ يجب أن أفكر يا آنسة ستاثويك...

وفجأة قال نيكولاس متدخلا بصوت قاس:

ـ لا تكن غبياً يا جورج...

اجاب جورج وهو في حيرة من أمره:

ـ يجب أن أفكر أولا يا نيكولاس... على كل معظم الطريق آمن!

ـ ليس بالقرب من الصخرة، انه خطير جداً هناك.

ـ هذا صحيح، لكنني أعرف الطريق كما أعرف باطن كفي هذه.

حول نيكولاس نظراته الغاضبة تجاه كيلي قائلا:

ـ اذا كنت تفعل ذلك من أجل المال، فالأمر لا يستحق عناء المخاطرة!

ردّ جورج بصوت خجول:

ـ انت تعرف صعوبة الأوضاع هنا في هذه الفترة يا نيكولاس.

أدركت كيلي ان صاحب الفندق غير متشجع، وانه انما قبل من أجل المال. وهذا ما جعلها تشعر بالخجل من نفسها، وزاد من توتر اعصابها. ومع ذلك لم تسحب عرضها المغري لأنها تعرف الخطر المحدق بغاري في حالة ذهابه منفرداً الى الجبل.

قال جورج متابعاً:

ـ ماري تنتظر طفلنا بعد ثلاثة أشهر، وأوضاعنا المالية... (توقف عن الكلام للحظات ثم رفع رأسه وقد حسم أمره) سوف أرافقكم.

توقعت كيلي ان يعمد نيكولاس الى مناقشة جورج في قراره، أو على الأقل محاولة ثنيه عن عزمه. لكنها أخطأت في تقديراتها لهذا الرجل. فلقد اكتفى بحدجها بنظرة ثاقبة أشعرتها بالخوف، ثم نهض واقفاً بجسمه الطويل المتين البنية وقال:

ـ الأمر يعود لك... أراك قريباً اذن.

وبعد أن غادر نيكولاس القاعة، قال غاري متسائلا:

ـ اذن سترافقنا فعلا الى القمة؟

ـ نعم.

ـ هذا رائع. سنبدأ مسيرتنا في وقت مبكر من صباح الغد.

ـ من الأفضل أن ننتظر يوماً أو اثنين كي تكون الأرض قد جفت.

قاطعه غاري بحدة وحسم:

ـ لا. سنغادر هذه المنطقة بعد غد يا جورج، ولذلك سنصعد غداً صباحاً.

وفي وقت لاحق، عندما أصبحت كيلي وغاري على انفراد، قال لها هامساً:

ـ أشكرك يا حبيبتي. انني أعتمد على اموال خطيبتي للخروج من المأزق!

أبعدت كيلي عينيها عنه وهي تقول:

ـ انني لا أحب هذه التصرفات يا غاري.

ابتسم ساخراً:

ـ غداً عندما نتزوج، ستتعلمين عدم التردد بهذا الشكل.

اعترضت بحدة:

- انني أرفض رشوة الناس!

اجاب وقد توترت أعصابه رغم الابتسامة التي احتفظ بها على شفتيه:

- أرجوك يا كيلي، لقد أديت خدمة لجورج. انه يحتاج الى المال، وهذا ما قاله علناً. وفي الوقت نفسه سأحقق رهاني. لا شك أن جو سيجن عندما يرى الصور التي سألتقطها... وسيدفع قيمة الرهان. (نظر اليها للحظات متباهياً ثم أضاف) ماذا ستفعل بذلك المبلغ؟ هل نذهب الى مطعم فخم للاحتفال بالمناسبة؟

ردّت بصوت مضطرب:

- هل تعتقد أن المال وجد فقط من أجل المتعة؟

قال بنفاد صبر:

- طبعاً لا. لكن لا يوجد أي قانون يمنعنا من استعمال جزء من المال للتمتع بالحياة... وأنت تملكين منه الكثير يا حبيبتي.

غضبت كيلي لدى سماعها العبارة الأخيرة. لربما انطلقت من فمه بفعل الحماس الزائد عن الحد. فقد أكد لها غاري منذ البداية ان كونها ابنة احد أغنى الصناعيين في البلاد لا يعني له شيئاً... وهي تصدقه. ومع ذلك فقد هزتها كلماته هذه وجعلتها مشتتة الأفكار. ثم قطعت الحديث قائلة:

- دعنا نجد شيلا والكسندر.

كان من الواضح ان غاري أحس بغضبها الصامت، لذلك حاول ابقاءها معه لمدة أطول... لكنه تراجع بعد لحظات وهو يقول:

- هيا بنا، فعلينا أن نضع الخطط لرحلة الغد.

مع مطلع الفجر في اليوم التالي، كانت المجموعة في طريقها الى

الجبل. ارتدى الجميع ملابس جلدية سميكة لمواجهة البرد في مثل هذا الوقت في منطقة دراكنسبرغ. وعلى طول الطريق كانت قطرات الندى المجلدة ترتطم بملابسهم وأحذيتهم معطية حفيفاً خشناً. كانت معنويات الفريق عالية، وحتى كيلي استطاعت أن تتخلص من التوتر الذي سيطر عليها بعد مناقشات ليلة البارحة. ولعل ذلك حدث بتأثير هواء الجبل المنعش الممزوج بروائح عطرية تنبعث من الأزهار والنباتات البرية.

وبدا على جورج أنه تناسى تحفظاته الأولى في المجيء، أو لربما أخفى ذلك حرصاً على مزاج المجموعة. وسرعان ما احتل الطليعة الى جانب غاري والكسندر. وكان غاري في هذه الأثناء يحدّث دليله عن الرهان الذي عقده مع اصدقائه، ويشير الى الكاميرا المعلقة في رقبته مؤكداً اصراره على التقاط الصور من أعلى الجبل.

لم تكن كيلي قادرة على تمييز كل عبارات غاري، باستثناء ذلك الحماس المراهق الذي ينبعث من معظم كلماته وتصرفاته. هذا هو غاري الذي وقعت في حبه، متحمس وحيوي وطيب المعاشرة... وذلك على نقيض الجو البارد المخيم في منزلها حيث تعيش مع والدين عجوزين لا يستقبلان الا الذين هم من عمرهما أو الذين لهم معهما علاقات تجارية. وكثيراً ما كانت كيلي تتساءل في مثل تلك الاجتماعات عما اذا كان هؤلاء الناس يعرفون شيئاً عن الحياة سوى المال والأرباح والتجارة.

لقد أبدى والداها عدم ارتياحهما لعلاقتها بغاري، فهما يريدان لها زوجاً ذا تأثير واضح وحضور مميز في المجتمع... لكن كيلي أصرت على اختياره، وما كان منهما الا الرضوخ لمشيئتها. وهكذا تقرر ان يتم عقد القران بعد ثلاثة أشهر، وعلى هذا الأساس تجري الاستعدادات

اللازمة.

عندما أبلغت كيلي والديها أنها ستذهب بصحبة غاري وصديقيها شيلا والكسندر لقضاء عدة أيام في منطقة دراكنسبرغ الجبلية، لاحظت أنهما لم يبديا ارتياحاً. . . لكنهما لم يعترضا. فهما يعرفان ان كيلي ناضجة وتستطيع أن تتصرف بحياتها كما تريد. . . لقد بلغت الثالثة والعشرين، وهذا يعني النضج الكافي.

لقد تعمدت كيلي ان يرافقها الكسندر وشيلا. صحيح أنها تحب غاري وترتاح اليه، لكنها في بعض الأحيان تخاف منه بسبب بعض القسوة غير المفهومة التي يظهرها في التعامل مع الناس. ربما لم تكن تخافه، بل لعله احساس بالشك لم تستطع ان تخفيه. المهم بالنسبة اليها أنها تحبه، وأن مشاعر عدم الارتياح لا تدوم الا لحظات.

قالت كيلي لنفسها انها محظوظة بالعثور على رجل مثل غاري يستطيع ان يكون مختلفاً عن معظم الرجال، وهو يعاملها بكبرياء لم تعهدها في كل الرجال الذين كانوا يخشونها كونها ابنة رجل الأعمال الثري ووريثته الوحيدة. وفي الوقت نفسه كانت هناك لحظات - كما جرى بالأمس - حيث تظهر طفوليته وعناده بأجلى مظاهرهما.

ودون سبب معقول، استرجعت كيلي ذكرى ذلك الرجل القاسي المدعو نيكولاس. فهو لم يحاول أن يخفي اشمئزازه من كل ما جرى في الفندق. وأكثر ما أثر فيها نظرته القوية الغاضبة عندما عرضت المال على جورج. ان مجرد التفكير فيه يجعل أعصابها تتوتر. . . لكن ما لها تترك هذا الرجل الذي تكره يعكر عليها جمال هذه الرحلة الصباحية؟ غير أن التفكير به لم يبرح ذهنها رغم كل محاولاتها.

مع أشعة الفجر الأولى بدت الجبال المترامية رمادية اللون ذات منحنيات خضراء داكنة. وكانت الشمس تشق طريقها بهدوء لتغير

صورة الريف الى لوحة ساحرة أخاذة، وتظهر في طريقها معالم الجبال والوديان والغابات الكثيفة. وسرعان ما سطعت الشمس لتطرد بقايا ضباب ليلة الأمس، مدخلة الدفء الى الأجسام الباردة. وما هي الا لحظات حتى دعا جورج المجموعة الى تناول طعام الافطار تمهيداً للمرحلة الثانية من المسيرة.

كان جورج قد جهز زاداً خفيفاً للرحلة. وبعد تناول بعض السندويشات واحتساء القهوة السوداء القوية، عاودت المجموعة السير بنشاط متجدد. في هذه الأثناء، كانت الشمس قد احتلت مكانها عالياً وأظهرت كل ما تحتويه الطبيعة من ابداع فتان. فالجبال تتلاحق وكأنها حلقات في سلسلة لا تنتهي. . . ولهذا أطلق عليها اسم جبال التنين لضخامتها ولا نهايتها. والملفت للنظر أن المطر الذي انهمر بالأمس لم يحجب روعة الأزهار البرية التي تفتحت بألف لون ولون، متمازجة مع زقزقة أنواع عديدة من الطيور التي كانت تتطاير في كل حدب وصوب لدى اقتراب المجموعة من أعشاشها. والى جانب كل ذلك هناك خرير المياه والينابيع والأنهار العديدة. وقد أخبر جورج كيلي أن هذه الجداول تصب كلها في نهر عظيم يشق الوادي باتجاه السهول. . . وأخيراً الى البحر.

بعد ساعة بدأت الطريق تتجه صعوداً واكتشف الجميع ان السير لم يعد سهلاً. فالطريق شديدة الانزلاق بعد أمطار الأمس، تماماً كما حذرهم جورج. ففي أماكن كثيرة كان الممر يضيق ويشرف بشكل خطير على الهاوية. ومما زاد الطين بلة ان العشب الكثيف كان يغطي الطريق بحيث تضيع معالمه الى مسافة طويلة. ومرة أخرى شعرت كيلي بالارتياح الشديد لأنهم لم يأتوا وحيدين الى هذه المنطقة.

مرت نصف ساعة قبل أن يدخلوا في منعطف حاد. وحدست

كيلي على الفور، من خلال تصرفات جورج، أن الصخرة المقصودة على قاب قوسين أو أدنى. لقد بدت الجبال في تلك المنطقة شامخة سوداء ومتقاربة الى بعضها. وعندما التفتت كيلي الى الوراء، شهقت بصوت خافت لدهشتها الكبيرة ازاء المسافة التي قطعوها الى قمة الجبل... فهناك في الأعماق كان النهر العظيم يتلوى وكأنه خيط رفيع من الفضة على صفحة خضراء داكنة.

كان الظهر قد حلّ عندما وصلوا أخيراً الى الصخرة. فعلا انه منظر يسحر الألباب لروعته وعظمته. لقد كانت صخرة ناتئة وملساء وتطل من فوق المنحدر على الهاوية السحيقة. وعندما اقتربت كيلي من الصخرة شعرت بدوخة خفيفة مفاجئة، وما عادت قدماها قادرتين على حملها وشحب لون وجهها بشكل ملحوظ. ولم يلحظ غاري في خضم سروره بالوصول الى الصخرة ما حل بخطيبته من ضرر... لكن جورج لم يغفل عن ذلك. اذ أسرع بوضع ذراعه حول خاصرتها، ثم عاد بها الى مكان واسع حيث أسندها الى صخرة مريحة.

ومع ذلك واصل غاري والكسندر تقدمهما دون اعارة أي انتباه لكيلي التي أرادت ان تحذرهما وتطلب منهما البقاء بعيداً عن الصخرة... لكن صوتها لم يسعفها. انها تعرف خطيبها تمام المعرفة، فهو لم يصل الى هذه المسافة كي يتراجع في آخر لحظة. وكم كان ارتياحها كبيراً عندما انضم جورج اليهما فوق الصخرة، فهذا الرجل الناضج قادر على منع الشابين من ارتكاب أية مغامرات أو حماقات.

تناول غاري الكاميرا من حول عنقه وبدأ في التقاط الصور. وقد أعاد هذا المنظر الهدوء الى كيلي المضطربة. فحتى لو لم يكن جورج الى

جانبه فان خطيبها يبدو ثابت الخطوات واثقاً من نفسه. وهم في أي حال قطعوا كل المسافة دون أي حادث، وبعد لحظات سينتهي غاري من مهمته ويعود الجميع أدراجهم وكأن شيئاً لم يكن. وغداً سيغادرون دراكنسبرغ، وفي حقيبة غاري سيكون الفيلم الذي جاء كل هذه الرحلة من أجله.

عاد الرجال الثلاثة من الصخرة الى الممر الترابي وهم يتضاحكون بحبور، وقد علت وجه غاري علامات الانتصار والاثارة.

قالت كيلي وهي تبتسم لخطيبها:

- هل أنت سعيد بعودتك يا غاري؟

التمعت عيناه بالاثارة والحماس قائلا:

- ان المنظر من هناك رائع. كان يجب أن تحضري أنت وشيلا.. يا لها من تجربة مذهلة!

ضحكت كيلي وهي تهز رأسها بهدوء:

- لا أملك شجاعتك، لكنني مسرورة لأنك حصلت على صورك!

- كلها، باستثناء واحدة.

ودون أن ينتظر جواب أحد، ولا حتى جورج الذي كان منشغلا بحديث جانبي مع الكسندر، اتجه نحو حافة الممر في محاولة لالتقاط صورة للصخرة من زاوية صعبة.

لكن كيلي صرخت بصوت معترض:

- لا تفعل يا غاري!

استدار جورج بسرعة وقد أرعبته حدة صوتها، وعندما لمح غاري سرخ آمراً:

- عد الى هنا على الفور.

- لا ضرورة لكل هذا التوتر (جاء صوت غاري ساخراً) صورة واحدة فقط وثم...

لكن صرخة رعب هائلة قطعت عبارة غاري الأخيرة، أعقبتها أصوات ارتطام شيء بالأرض.

فغرت كيلي فاها دون أن تجد القدرة على الصراخ. لم تستطع حتى أن تفتح عينيها لرؤية ما حدث. فقد كانت ترتجف بشدة والرعب الهائل يغمر كل جوانحها لمجرد التفكير بأن جسد خطيبها الغض مرمي على الأرض محطماً.

سمعت صوت جورج وكأنه قادم من واد سحيق:

- كيلي، ان غاري بخير، (ثم التفت الى شيلا قائلا) انتبهي لها يا شيلا، يبدو انها ستغيب عن الوعي... وأنا لا أريد مصيبة أخرى بين يدي. سأذهب الآن لانقاذ غاري.

فتحت كيلي عينيها وهي ما تزال ترتجف:

- هل تقصد... هل غاري ما زال...

أجابها الكسندر والخوف يملأ نبراته:

- لقد سقط الى جانب الممر ولم يستطع العودة، وها هو جورج ذاهب لمساعدته.

كان صمت ثقيل يخيم على حافة الهاوية. وقد وقف الثلاثة هناك يراقبون ما يجري دون ان ينبس أي منهم بحرف. للحظات شعرت كيلي ان كل شيء تغير: الشمس أصبحت حارة جداً، والجبال متلاصقة وكأنها جاثمة على صدرها. وبعيداً عن عيونهم، كانت تتصاعد من خلف الهاوية أصوات تجاهد في مرحلة ما بين الحياة والموت على مسافة لا تتعدى مساحتها المتر الواحد.

واتضح بعد لحظات ان غاري بدأ يفقد أعصابه، وان جورج

يحاول جاهداً مساعدته على الصمود تمهيداً لرفعه الى الممر. وعلى حين غرة ظهر أعلى رأس بشري، ثم ارتفع ليبدو غاري وهو يحاول تسلق آخر خطوات قبل الوصول الى بر الأمان. وعندها أسرع الكسندر نحوه، وسحبه من ذراعه الى الممر حيث تهاوى باعياء شديد.

كانت كيلي على وشك الركوع الى جانب غاري عندما وقع المحظور. اذ يظهر أن حركة خطيبها الأخيرة حركت صخرة من مكانها، فسقطت على جورج الذي كان يصعد آخر خطواته. ومع ان الصخرة لم تصب رأسه، الا انها وقعت على ساقه... واضطرته الى الانحدار مجدداً الى حافة جانبية عند الهاوية وهو يتلوى ألماً.

الساعات التي تبعت هذه الحادثة كانت كابوساً حقيقياً بالنسبة لكيلي. فقد اضطرت هي وصديقتها شيلا للبقاء قرب جورج، في حين توجه غاري والكسندر الى الفندق طلباً للنجدة. ذلك أنهما لقلة خبرتهما في شؤون التسلق خشيا ان يقوما بخطوة خاطئة تودي الى مأساة تودي بجورج الى الهاوية السحيقة. اذ ربما لم تعد حافة الهاوية تتحمل اكثر، وليس من فائدة في وقوفهما هناك دون أي عمل.

جلست الفتاتان بصمت بعد ان تيقنتا ان جورج غاب عن الوعي بسبب الاصابة في ساقه. لم تكونا قادرتين على تجاذب الحديث، ليس فقط بسبب المشكلة التي هما فيها، بل لأن العلاقة بينهما لم تكن على ما يرام. فشيلا والكسندر هما صديقا غاري ومنذ البداية أحست كيلي ان هذه الشابة تحسدها على ثرائها. وحتى عندما أفضت بأحاسيسها الى خطيبها، وجدته يسفه كلامها ويتهمها بتخيل أمور لا وجود لها على الاطلاق. ومع انها لم توافقه الرأي، الا انها لم تعد الى اثارة الموضوع أبداً، وقد حاولت كثيراً ان تعمق صلاتها بهذه الفتاة طالما

انها وصديقها الكسندر في صحبة غاري منذ مدة بعيدة.

أما الآن، وقد وصلت الأمور الى ما وصلت اليه، فلم تكن كيلي قادرة على تصنع الصداقة. بل لعل الوضع المأساوي الحالي أظهر عقم الابتسامات المصطنعة والأحاديث التافهة التي كانت تدور قبلا. ففي مثل هذه الحالة تكون الصراحة ضرورية... خاصة أن انساناً ما هو في صراع بين الموت والحياة.

وهكذا وجدت كيلي نفسها تراجع في ذهنها تفاصيل ما حدث، وبالتحديد تصرفات خطيبها الذي كشف عن نفسه الكثير خلال الساعات الأربع والعشرين الماضية. واضطرت الى الاعتراف بأن الشجاعة والاعتداد بالذات، وهما الصفتان اللتان قربتا غاري الى قلبها، ليستا الا قناعاً يخفي الانانية المطلقة في شخصيته.

لقد لاحظت بامعان وجه غاري عندما عاد الى الممر الآمن. فللحظات ظل متوتراً وخائفاً وضائعاً، وغير مصدق أنه أفلت من الموت... بل وشاهدت في عينيه تلك النظرة التي شاهدت المنية، ثم خرجت منها سالمة. لكن هذه النظرة لم تدم طويلا، فبمجرد ان انطلق هو والكسندر عائدين الى الفندق طلباً للمساعدة، حتى عاد الى طبيعته: جريئاً، لامبالياً، وعبثاً حاولت كيلي أن تجد في تعابير وجهه ملامح الندم لما سببه من أذى للآخرين.

وتساءلت كيلي في سرها: هل هذا هو غاري الحقيقي؟ هل يعقل ان تكون كل المزايا الايجابية التي وجدتها جذابة في فترة ما، مجرد قناع يخفي خلفه شراك رجل لا يهتم بشيء او بأحد... الا في ما يتعلق به شخصياً؟

ولا شعورياً راحت تعبث بخاتم الخطبة في اصبعها. هل دفعها حادث اليوم الى التفكير الموضوعي، بحيث شعرت انها مخطوبة

لرجل لا تعرف عنه أي شيء؟

ولكنها أحبت غاري. وحب شخص ما يعني قبول حسناته وسيئاته على حد سواء. انها ايضا غير كاملة. وكيف ستشعر اذا ما توقف غاري عن حبها لمجرد ان بعض تصرفاتها لا تعجبه؟ ويضاف الى ذلك انها تعهدت بالزواج منه... وهي ليست من النوع الذي يتراجع في كلامه.

مضى بعد الظهر بطيئاً ثقيلا، وبدأت ظلال الأشجار الطويلة والجبال تغطي الممر. وبين الحين والآخر كانت كيلي تسير الى نقطة تكشف مساحة أطول من الطريق الآتي من القرية... لكن لم يظهر احد. وقد شكرت كيلي ربها ان جورج ما زال غائباً عن الوعي. ذلك ان أية حركة منه يمكن ان تؤدي الى انهيار الحافة... وبالتالي الى الهاوية. غير ان حالته هذه لها مخاطرها ايضا، فمع بدء غياب الشمس أخذ الطقس يبرد. وقد يصاب جورج بالبرد اذا لم يجدوا وسيلة لاخراجه بسرعة... او حتى لتدفئته. نظرت كيلي الى شيلا مطولا وقالت:

- أتمنى أن يكون غاري والكسندر قد وصلا الى الفندق.

- سوف يرى الكسندر ما لا يعجبه اذا ضيّعا وقتهما في اللهو!

- هل تعتقدين... (وترددت في اكمال العبارة، ثم أضافت) هل تعتقدين ان فرقة الانقاذ ستجد طريقها الينا وسط الظلام؟

ردّت شيلا بصوت قاس:

- يجب ان يجدونا... فأنا لا أنوي قضاء الليل في هذه المنطقة الضائعة.

ولم تستطع كيلي ان تكبح جماح تساؤلاتها الغاضبة:

- أنت غير مهتمة بمصير جورج أبداً، أليس كذلك؟ انه معرّض

للموت أيضاً!

ردّت شيلا بسخرية لم تكن خافية على كيلي:

ـ لقد كان يعرف المخاطر عندما قبل عرضك المالي (وواصلت قبل ان تتمكن كيلي من الرد) ولا ضرورة للتظاهر بالحزن. فقد كنت تعرفين ماذا تفعلين عندما قدمت الرشوة له.

كظمت كيلي غيظها وسكتت. ليس هناك أية فائدة من المناقشة. ولذلك حولت نظرها الى الطريق وجلست تنتظر.

كان الظلام قد خيّم حالكاً عندما وصلت فرقة الانقاذ. وبحركة لا شعورية هبت كيلي واقفة فور رؤيتها أضواء المشاعل المطلة عند المنعطف. ولكنها أصيبت بالدهشة عندما وجدت مع غاري والكسندر الرجل الذي لم ترتح له أبداً... نيكولاس. وقد اكتفى الرجل بطرح عدة أسئلة على الفتاتين حول وضع جورج، ثم انهمك في ادارة عملية الانقاذ الدقيقة.

وأبرز ما لفت انتباه كيلي في عملية الانقاذ سيطرته على الأمور وقيادته للدفة بعناية كاملة. ومع انها لم تكن تعرف أياً من الرجال المشاركين في الحملة، الا انهم جميعاً كانوا ينظرون اليه على انه قائدهم.

وعلى الرغم من المخاطر المحفة بعملية الانقاذ، الا ان الرجال عملوا بهدوء وهم واثقون من أن قائدهم قادر على اتخاذ القرارات الحكيمة في ظل هذه الظروف. ومع الوقت، بدأت كيلي تشعر نفس شعور الرجال... دون ان تستطيع تفسير هذا التغيير في موقفها.

نيكولاس كان أكثر من مجرد قائد يعطي الأوامر، فقد نزل شخصياً الى الحافة حيث يوجد جورج وأعدّ العدة لرفعه الى أعلى. وطيلة هذا الوقت، كانت كيلي تحبس أنفاسها قلقاً وترقباً. وحتى

عندما وصل جورج الى أيدي الرجال المنتظرين، لم يخف قلقها. فقط رؤية نيكولاس يخرج من الحافة جعلتها تطلق زفير الارتياح والفرح

وضع جورج على حمالة خاصة وغطي بالبطانيات الصوفية، دون أن يعود اليه وعيه. ولعله من الأفضل ان يظل على هذه الحالة ريثما يصل الجميع الى الفندق، كي لا يشعر بمطبات الطريق الوعرة.

وقبل ان تبدأ رحلة العودة، وجه نيكولاس نظرة قاسية مليئة بالاشمئزاز الى كيلي. ومع ان تبادل النظرات لم يستغرق أكثر من لحظات معدودة، الا ان كيلي أحست بتعب النهار كله يتجمع في موجة غضب عارمة اختنقت في صدرها!

٢- البادرة الطيبة

ارتدت كيلي ملابسها بسرعة في صبيحة اليوم التالي واسرعت الى المكتب. وهناك علمت أن جورج نقل الى المستشفى حيث انضمت اليه زوجته الحامل ماري. لم يحدّد الأطباء بعد حالته الصحية، باستثناء قولهم ان ساقه قد انكسرت. لذلك وجدت أنها لا تستطيع فعل اي شيء، الآن، سوى الطلب من أحد موظفي الفندق ارسال بطاقة تتمنى فيها الشفاء العاجل له. لقد كانت تود ان تبقى في الفندق بضعة أيام ريثما تنجلي الاوضاع أكثر... لكن غاري كان مصراً على المغادرة بأسرع وقت ممكن، ووافقه الكسندر وشيلا على رأيه دون تردد.

في قاعة الطعام لم يكن هناك اي أثر لنيكولاس. وهذا ما أشعر

كيلي بالارتياح، لأن تأثير نظراته ما زال فاعلاً في نفسها منذ ليلة البارحة.

ازدرد الأربعة طعام الافطار بصمت ثقيل. ولاحظت كيلي ان غاري والكسندر وشيلا يستعجلون الانتهاء وكأنهم يريدون مغادرة الفندق بأسرع وقت ممكن. وفي غضون نصف ساعة كان الرجلان قد حزما الحقائب ووضعاها في السيارة، ثم دفعا الحساب... وانطلقا عائدين الى المدينة دون أن يوجها نظرة وداع الى الفندق الريفي المتواضع.

قالت كيلي بعد مدة غير قصيرة:

- يجب أن نعود الى الفندق!

ردّ غاري بنفاد صبر:

- هذه هي المرة الرابعة التي تقولين فيها هذه العبارة... فلا ضرورة للازعاج اكثر.

لم يقل الكسندر وشيلا شيئاً، وان كانا من رأي غاري بأن جورج المرسون كان يعرف طبيعة المخاطرة عندما وافق على مرافقتهم. لقد كان حادثاً مؤسفاً، وهم ليسوا مسؤولين عنه... وبالنسبة لهم فقد انتهى الأمر الآن.

- لم يكن جورج يعرف أنك ستقتربين من المنحدر (وعضت شفتها السفلى ندماً لعبارتها هذه، لكنها تابعت) لقد حاول أن يثنيك عن عزمك!

تقلصت عضلات وجه غاري وهو يلتفت اليها صارخاً بغضب:

- أرجوك يا كيلي... لم أقصد أن انزلق. وعلى كل، نحن معرضون للخطأ باستمرار (ثم أضاف ساخراً وهو يرمقها بطرف عينه) أو لعل تربيتك الباهظة تجعلك تعتقدين بأنك كاملة؟

طغى صمت ثقيل على السيارة، اذ راحت كيلي تمعن في وجه غاري وكأنها تراه لأول مرة. كانت تريد أن تقول أشياء كثيرة، لكن احساساً داخلياً دفعها لعدم الرد، وترك الحديث عن الحادث لوقت لاحق ريثما تكون العواطف قد هدأت. فقد كانت هذه أول مشكلة في علاقتها مع غاري، ولا شك ان غيرها الكثير سيحدث. وما لم تتعلّم كيف تواجه الازمات فان زواجها سيتحول الى جحيم أبدي.

لكنها قرّرت عدم السكوت مهما كلف الأمر. وبصوت هادىء، قالت:

ـ عندما نصل الى استكورت أريدك ان تنزلني قرب المحطة...

وفجأة تغيّرت ملامح غاري، وظهرت على وجهه نظرة تمنت كيلي لو أنها لم ترها أبداً. كانت هناك مشاعر التذلل والاستعطاف، وكأنه يلمح ثروة طائلة تفلت من بين يديه وهو لا يدري ماذا يفعل للحفاظ عليها. وجاء صوته هادئاً متوتراً:

ـ حبيبتي... ربما كنت قاسياً معك الى حد ما، لكن...

قاطعته وقد أزعجها تصرفه الى أبعد الحدود:

ـ دعنا من هذا الآن. سأعود الى الفندق بالقطار كي أتأكد من ان جورج على خير ما يرام.

ـ يمكننا أن نعود كلنا...

هزت رأسها بحزم، وقالت وهي تشعر بالرغبة في ان تكون وحدها:

ـ لا... سألتقيك فيما بعد في دوريان. أرجوك يا غاري، لا أريد ان أسمع المزيد. لقد صممت على العودة بمفردي.

لم يبد موظف الاستقبال في الفندق استغراباً لرؤيتها مجدداً. ورداً على استفسارها قال لها ان السيدة اندرسون عادت لترتاح قليلاً بعد ان أمضت معظم الليل الى جانب زوجها في المستشفى.

استدارت كيلي وسارت في القاعة ببطء دون أن تدري ماذا تفعل الآن.

لقد عادت أساساً كي تكون الى جانب ماري اندرسون، لكن السيدة الحامل ترتاح بعد عناء الليل. ولم تشأ أن تحجز غرفة لقضاء الليلة في الفندق لأنها خططت لرؤية ماري، ثم العودة الى ايسكورت ومنها الى دوريان.

سارت على غير هدى من القاعة الى الشرفة المطلة على السهول الفسيحة. عليها أن تنتظر لبعض الوقت، فلا بد أن تخرج ماري من غرفتها عاجلاً أم آجلاً وعندها ستتحدث إليها. أما في الوقت الراهن فليس أمامها الا القيام بنزهة في هذه الحدائق الغناء.

ـ حسناً... حسناً... أليست هذه الآنسة ستانويك؟

استدارت كيلي فجأة وقد أفزعها هذا الصوت الذي أخترق عليها افكارها العميقة دون استئذان. كان نيكولاس يحدق فيها ويداه في جيبي سروال رمادي أنيق. لقد عرفت اسمه الكامل بالامس. نيكولاس فان ميجدين، يستطيع ان يكون واثقاً وحاضراً كما لا يستطيع اي رجل آخر عرفته في حياتها.

اخفت اضطرابها وقالت:

ـ أهلاً يا سيد فان ميجدين.

ـ لقد سمعت انك واصحابك غادرتم الفندق هذا الصباح!

ـ بالفعل غادرنا... لكنني قررت العودة بمفردي.

ـ لماذا؟

استغربت كيلي جرأة نيكولاس الموظف في الفندق على توجيه مثل هذه الأسئلة المباشرة الى الضيف. وللحظات أرادت أن تدير له ظهرها وتقطع الحديث معه. لكن نظرة الاحتقار التي اطلقها نحوها

ليلة أمس لم تمت بعد، ولهذا فهي تريد أن تعيد اظهار صورتها الحقيقية امامه. والغريب أنها لم تسأل نفسها عن اهمية رأيه فيها وهو الانسان الذي لم ترتح له أبداً!

قالت ببساطة:

- انني أريد ان اعرض مساعدتي.

رد دون ان يرفع عينيه عن وجهها:

- هذا شيء مهم!

كان باستطاعة كيلي أن تترك الأمور عند هذا الحد. فهي قد عادت لرؤية ماري وليس أي انسان آخر. لكن نظرات نيكولاس الحادة والمتفحصة أشعرتها بالحاجة للحديث... من أجل ازالة التوتر الذي بدأ يتراكم في داخلها. قالت:

- سوف أقابل السيدة اندرسون وأتحدث اليها

أجاب:

- ماري ترتاح الآن. وأنا أريد أن اسمع عرضك بنفسي... يمكننا أن نتحدث في غرفة الاستقبال.

صرخت كيلي بلا وعي:

- لا...

لم تكن راغبة في الذهاب الى غرفة الاستقبال وحيدة مع هذا الرجل. فهي لا تريد أن تتعرف اليه اكثر، وتدخله في شان خاص يتعلق بها وبالسيدة اندرسون.

لكن قبضته القوية على ذراعها ألغت كل مقاومتها وكأنه يجبرها على مرافقته الى غرفة الاستقبال.

هزت يدها بعنف قائلة:

- حسناً... مع أن الأمر لا يعنيك أبداً.

سألها فجأة بعد ان استقر بهما المقام:

- أين السيد سلون؟

رفعت كيلي وجهها بتحد وقالت:

- كان عليه أن يعود الى دوربان.

علق بسخرية واضحة:

- تاركاً خطيبته لتصحيح الاخطاء التي ارتكبها؟ لا داعي للدفاع عنه... ما يهمني الآن هو العرض الذي ستقدمينه.

فكرت للحظات في الالتزام بالصمت، لكن شيئاً ما في هذا الرجل الذي يمتلك سيطرة آسرة جعلها تواصل الكلام:

- انني ارغب في تقديم بعض المال للسيدة اندرسون.

أجابها دون ان يبدو عليه اي استغراب:

- حقاً! لقد عدت للقيام بدور الأميرة الكريمة؟

انتفضت بغضب حقيقي قائلة:

- ليس من الضروري أن تواجهني بهذا الشكل. فأنا أعتقد ان ذلك يمكن ان يخفف عنها بعض الشيء.

قال بصوت هادىء:

- وذلك لأنك سمعت جورج يقول ان بعض المال يمكن ان يفيده في هذه الظروف؟

- حسناً... نعم...

- قولي لي يا آنسة ستانويك، هل تقومين دائماً بشراء الحلول للمآزق التي تقعين فيها؟

فاجأتها الاهانة المتضمنة في كلامه، فهتفت صارخة:

- كيف تجرؤ على هذا؟

ضحك بسخرية جارحة:

- انك لا تحبين سماع الحقيقة؟ (تردد قليلا قبل ان يتابع) أم انك من صنف الناس الذين يحبون سماع ما يرغبون فقط؟

ازدادت حدّة الغضب في نفسها، لكنها تمالكت وقالت:

- لا يهمني ما تقوله يا سيد فان ميجدين.

امعن نيكولاس النظر في تعابير وجهها المضطربة وأجاب بالسخرية نفسها:

- حقاً؟ ربما كنت الوحيدة التي هي ابنة صناعي مليونير ولم تجد من ينتقد اعمالها علناً؟

فوجئت مرة أخرى بعباراته. فلا شك انه يعرف عنها الكثير. ومع ذلك حافظت على هدوئها قائلة:

- لا أعتقد أن اسم ابي وصل الى هذه المناطق ايضاً؟

رد دون أن يتخلى عن ابتسامته المتهكمة:

- نحن أيضاً نطالع الصحف في الضواحي النائية؟ وحتى بدون الصحف... كانت هناك الأقاويل التي احاطت بأصدقائك!

نظرت اليه مطولاً وقد امتلأت نفسها بالاشمئزاز. اذ اهمها كانت الاخطاء التي ارتكبها خطيبها في هذا المكان. فمن غير المعقول ان يكون قد ناقش أمام الغرباء وضع أبيها المالي؟ وخيل لكيلي ان نيكولاس استطاع قراءة افكارها، بحيث خفف نظراته القاسية نحوها دون أن يغير من لهجته الساخرة:

- لو أنك سمعت كلامهم، لاكتشفت اشياء كثيرة جداً!

وردت كيلي بصعوبة:

- اني لا أصدق كلامك، فغاري... خطيبي لا يمكن أن يلجأ الى الأقاويل والشائعات.

هزّ الرجل القاسي كتفيه بلا مبالاة وقال:

- انني غير مهتم بما تصدقين أو لا تصدقين. والآن لنعد الى موضوعنا الأساسي، انك تعتقدين بأن المال هو الحل لجميع المشاكل التي تقعين فيها، أليس كذلك؟

بذلت كيلي جهداً كبيراً لمواجهة نظراته الحادة، لكنها عجزت في النهاية وأرسلت عينيها لتتأمل الأنف الدقيق فوق الشفتين اللتين زادهما الفكان العريضان والبارزان قـوة. لقد كان نيكولاس جذاباً بشكل خاص، اضافة الى كبريائه الواضح وشخصيته المسيطرة.

وأخيراً، عادت الى صلب الموضوع قائلة:

- أنت تقصد المبلغ الذي عرضته على جورج ليلة البارحة؟

ضحك بصوت مرتفع:

- العرض المالي؟ ما هذا التحايل يا آنسة ستانويك؟ ان الرشوة هي الرشوة مهما حاولت اعطاءها من صفات.

أحست كيلي بالدم يكاد ينفجر في عروقها، وشعرت كأن انفاسها تتقطع من جراء الضغط الذي تتعرض اليه. المشكلة أنّ هذا الرجل ينطق بالحقيقة، وان بشكل جزئي الى حد ما. لقد عرضت على جورج المال كنوع من الاغراء، دون ان تقصد الرشوة. كانت تحاول تجنب وقوع حادث لخطيبها، ولم يخطر على بالها ان حادثاً من نوع آخر سيحدث نتيجة لذلك. قالت باضطراب:

- لا أظن انك ستفهمني (توقفت فجأة وكأنها تدرك عجز الكلمات عن نقل ما تود قوله دون ان تؤذي غاري بشكل من الاشكال... ثم تابعت) لقد كانت الصورة تعني الشيء الكثير لخطيبي!

علق بصوت أجش.

- من الأهمية بحيث أن كل النصائح الأمنية تسقط أمام رغباته؟

طبعاً، لا أستطيع ان افهم ذلك.

كان المنطق الذي يتكلم به صحيحاً، لكن هناك نقطة لا يستطيع أن يهرب منها، لذلك قالت:

- لنفترض أنها رشوة، وهذا ما لا أوافقك الرأي فيه، فلماذا قبل جورج؟ كان باستطاعته البقاء مصراً على رفضه المبدئي.

تضاربت المشاعر في نفس نيكولاس الذي رد بقسوة أشد:

- لقد سمعت جورج يقول ان المال سيكون ذا فائدة. والحقيقة أن العائلة مرّت بظروف صعبة، خاصة وأن موعد ولادة ماري أصبح قريباً. وأنت استغليت نقطة الضعف عنده يا آنسة ستانويك.

ألقت كيلي عنها مظهر اللامبالاة، في حين أن أعماقها تخفق بمشاعر الخجل وقالت:

- هكذا اذن... وطالما ان المسألة على هذا الشكل، فلماذا تمانع يا سيد فان ميجدين في رغبتي بتقديم يد المساعدة؟

رفع حاجبيه دهشة، وتساءل:

- هل قلت انني أعارض؟

فغرت كيلي فاها وقد اخذتها الحيرة مع هذا الرجل. ثم قالت:

- اذن لماذا كل هذه الحملة الساخرة التي واجهتني بها؟

ضحك بصوت مجلجل وقد انفرجت ملامح وجهه القاسي:

- لقد أسأت فهمي. فأنا لا أعترض على المساعدة التي ترغبين في تقديمها لكنني أرفض اعتقادك بأن المال هو الطريق الوحيد للمساعدة.

سألته بدهشة:

- وهل هناك وسائل أخرى غير المال؟

أجاب بهدوء:

- الشيء الوحيد الذي يفيد، هو تلك المساعدة التي تقدمينها بيديك... ومن وقتك.

تساءلت كيلي في سرها عما اذا كان نيكولاس في كامل عقله عندما اطلق هذه العبارة؟ لقد لاحظت أنه يتمعن فيها وكأنه يدرس ردود فعلها. لذلك ردت قائلة:

- أنت لا تتوقع مني أن أحل محل جورج؟ فأنا لا أستطيع القيام بأعمال رجل!

رد بنعومة واضحة:

- لكنك تستطيعين القيام بعمل امرأة... يمكنك ان تحلي مكان ماري!

قفزت كيلي من مكانها غاضبة، وصاحت:

- دعني أذهب الآن.

لكن الرجل الضخم كان يقف في طريقها بصلابة، وقال:

- ليس قبل أن توافقي على عرضي.

واجهته بتحد وهي تقول:

- لم أسمع في حياتي مثل هذا الكلام السخيف.

تساءل نيكولاس وهو مسمر في مكانه:

- كلام سخيف؟

- أجل، فأنا لا اعرف شيئاً عن ادارة الفنادق.

حدق فيها بصلابة قائلاً:

- يمكنك تعلم ذلك بسهولة.

وأدركت كيلي أنه يقصد كل كلمة، ولا يحاول فقط اللعب على أعصابها. ومع ذلك صرخت بحدة:

- أظنني أستطيع، لكن ليس هناك ضرورة أبداً.

- بلى . . . فجورج سيخضع لعملية جراحية غداً . واذا ما حللت مكان ماري ، فانها تستطيع البقاء الى جانبه أثناء الجراحة .

لو أن اي انسان آخر غير نيكولاس هو الذي يطرح هذا الاقتراح ، لكانت كيلي على استعداد للتفكير فيه . . . وحتى قبوله . لكن قبولها الآن يعني استسلامها لهذا المارد المتعجرف . ولذلك قالت :

- ماري لن تطلب مني البقاء . . . حتى أنها لا تعرف بوجودي في الفندق .

هز نيكولاس رأسه موافقاً وقال مبتسماً :

- هذا آخر شيء تتوقعه من كيلي ستانويك الثرية (ثم أضاف بعد تردد) أما أنا فقد توقعت ذلك .

ثارت كيلي مجدداً لعناده القاسي ، وصاحت :

- لا يمكنك أن تجبرني على البقاء .

علق بلهجة هادئة مشحونة بالتحذير :

- تعتقدين ذلك لأن أحداً لم يجبرك على فعل شيء طيلة حياتك !

وردت بقسوة :

- وأنت لن تستطيع أيضاً .

- هل تريدينني أن أثبت ذلك لك ؟

احست كيلي أن عبارته الأخيرة كانت تحذيراً ، وليست تساؤلاً . وفجأة حملها بين ذراعيه كأنها طفل صغير . وقبل ان ترتفع يدها لتصفع وجهه القاسي . . . فتح الباب فجأة ودخلت ماري اندرسون عليهما . وبلمح البصر أفلت نيكولاس كيلي من بين ذراعيه والتفت الى ماري التي قالت بدهشة :

- آنسة ستانويك . . . لم أعرف انك عدت الى الفندق !

ردت كيلي وهي تتجنب النظر الى الرجل الواقف الى جانبها :

- كيف حالة زوجك الآن يا سيدة اندرسون ؟

قالت ماري والدموع تترقرق في عينيها :

- نحمد الله انه نائم الآن بعد نوبة من الألم الشديد . لقد قرروا اجراء الجراحة غداً . . . وهم يجرون الآن بعض التحاليل .

لمست دموع ماري قلب كيلي ، فأسرعت تمسك يديها قائلة :

- انني آسفة جداً لما حدث .

لم يكن في تصرفات ماري ما يشير الى أنها تحمل كيلي وخطيبها مسؤولية الحادث . ثم قالت وهي تلتفت الى نيكولاس :

- كان مجرد حادث . وأخشى أنني سأضطر الى طلب المزيد من المساعدة . . . لقد اعطانا السيد فان ميجدين عدة ساعات من وقته للبقاء هنا في الفندق .

وقبل أن تجد كيلي العبارات اللازمة للرد ، تقدم نيكولاس قائلا :

- والآن سيكون هناك شخص آخر لتقديم يد العون يا ماري .

- انني لا افهم . . .

قاطعها وهو يوجه نظرات ذات مغزى الى كيلي :

- الآنسة ستانويك عادت خصيصاً لهذا الهدف . وسيمكنك تمضية وقت أطول الى جانب جورج في المستشفى .

قلبت ماري وجهها بين كيلي ونيكولاس وهي غير مصدقة لما يحدث .

- هل تقصد . . .

قاطعها دون تردد :

- الآنسة ستانويك ستقوم بسدّ ولتك في الفندق (والتفت الى كيلي متسائلا) أليس كذلك يا آنسة ستانويك؟

يبدو ان هذا الرجل لا يعرف المجاملات أبداً. وكم كان بود كيلي ان تأخذ عبارته وترميها في وجهه رافضة بعنف.

ولكنها لم تفعل. فمهما كانت مشاعرها تجاه نيكولاس فان ميجدين، فهي ستظهرها حتماً في يوم من الأيام. الا ان هنالك أموراً اهم الآن... خاصة وأن ماري تقف أمامها بمشاعر هي مزيج من القلق والأمل. صحيح أن كيلي لا تدين بشيء لذلك الرجل القاسي، لكنها مسؤولة بشكل أو بآخر امام ماري. وفي أعماقها، كانت كيلي راغبة في مد يد العون الى هذه المرأة الرقيقة.

قالت كيلي بعد لحظات من التفكير، دون أن تنظر الى نيكولاس:

- أجل... انني انوي المساعدة فعلاً.

عندها فقط رمقت كيلي نيكولاس بطرف عينيها، فلمحت على وجهه ابتسامة غريبة... ابتسامة لم ترَ مثلها من قبل، ولم تستطع أن تفهم لها معنى.

اغرورقت عينا ماري بالدموع ولم تستطع السيطرة على نفسها وهي تقول:

- هذا... انني... لست قادرة على التعبير عن مشاعري. بالامس اعتقدت أنك... لكنني كنت مخطئة. نيكولاس، انني لا أعرف ماذا أقول.

علق نيكولاس بعطف لم تكن كيلي تتوقعه:

- أعتقد أن الآنسة ستانويك تقدر مشاعرك. وربما، قبل ان انقلك الى المدينة، تستطيعين أن ترشديها الى الاشياء التي يجب ان

تحملها.

دعتها ماري قائلة:

- تعالي معي الى الكوخ. يمكننا ان نتحدث في الوقت الذي أجهز فيه حقيبة أغراض جورج لأخذها الى المستشفى.

كان الفندق مؤلفاً من المبنى الرئيسي الذي يضم المكتب وغرفة الاستقبال وصالة الطعام والمطبخ، وعلى جانبيه من الخلف توزعت أكواخ النزلاء.

أما كوخ العائلة فقد كان ابعد قليلاً لاعطائهم نوعاً من خصوصية... وأكبر من بقية الأكواخ.

انتظرت كيلي في غرفة الاستقبال ريثما انهت ماري تغيير ملابسها في غرفة النوم. كان الصالون صغيراً، لكنه جميل ومرتب ومزين بأشغال يدوية رائعة، ومن الواضح فيه لمسة ماري المحببة التي يبدو عليها الاهتمام بكافة التفاصيل الصغيرة. وعلى الرغم من أن فيلا كيلي يمكن أن تستوعب عشرة أشخاص دفعة واحدة، الا انها شعرت بالغيرة من هذا العش الزوجي الهادىء.

وبينما كانت كيلي تسرح نظرها عبر النافذة، جاءها صوت ماري محيّية:

- انني لا أمل النظر الى هذه المناظر الطبيعية.

استدارت نحوها وقالت:

- ولا أظنني أستطيع انا ايضاً (ثم قالت بعد لحظات) أرجو ألا تقلقي على الاوضاع هنا.

ابتسمت ماري عربوناً للشكر قائلة:

- شكراً لك. لن أغيب أكثر من يومين أو ثلاثة. لكن وجودك ووجود نيكولاس سيجعلنا نطمئن كثيراً.

قالت كيلي وهي تقدر ثقة المرأة بها:

- سأبذل قصارى جهدي. هل تخبرينني الآن ماذا علي أن أفعل؟

دخلتا غرفة النوم لاعداد حقيبة جورج، في حين أخذت ماري تشرح بالتفاصيل المهمات المطلوبة في الفندق وطرق تنفيذها.

وبعد الانتهاء علقت كيلي وقد استغربت عدم وجود موظفين في الفندق:

- لم أكن أعرف أنكما تقومان بمعظم الاعمال في الفندق؟

قالت ماري وهي منهمكة بحزم الحقيبة:

- كان هناك موظفون من قبل، لكننا اصبنا بأزمة مالية السنة الماضية. وكي نحتفظ بهذا الفندق كان علينا أن نخفض النفقات... وهكذا رحل الموظفون وتحملنا أنا وجورج معظم المسؤوليات.

ردت كيلي بهدوء:

- والآن يبدو أن الفندق يعمل بشكل جيد. اذ ان هناك العديد من الضيوف؟

قاطعتها ماري قائلة:

- لقد بدأت الأمور في التحسن. فخلال الشهرين الماضيين كان الفندق محجوزاً بكامله. ومع ذلك، فان الوضع المالي ما زال صعباً. واضافة الى ذلك فانني غير قادرة على العمل لفترة أطول بسبب الحمل والولادة... ثم هناك مصاريف الطفل (وتوقفت ماري للحظات ثم تابعت) أخشى أن يكون حديثي مملاً!

- لا أبداً.

ولأول مرة تدرك كيلي حقيقة ما حدث، والدوافع التي جعلت نيكولاس يتصرف معها بتلك الفظاظة. فهي قد عرضت المال على شخص بأمس الحاجة اليه ليشتري الضروريات لطفله القادم. ولكنها بهذا وضعت حياته في موضع خطر للغاية. وانطلاقاً من احساسها هذا، قالت:

- انني آسفة جداً لكل الذي حدث.

ردت ماري بسرعة وكأنها فهمت خلفيات عبارة كيلي:

- لا داعي لذلك ابداً. كان باستطاعة جورج رفض المال، لكوننا قادرين على تدبير الأمور. لكنه اعتبرها فرصة لتحسين ظروفنا وظروف المولود الجديد (ثم ابتسمت بحنان قائلة) انني لست غاضبة... بل انا شاكرة لك لأنك جئت تساعدني.

- وما هي علاقة السيد فان ميجدين بك يا ماري؟

- نيكولاس صديقنا منذ سنوات طويلة. وهو يملك مزرعة تقع على بعد أميال من هنا... انه واحد من أفضل الرجال الذين نعرفهم.

لكن كيلي علقت بلا مبالاة:

- انني اراه جلفاً الى حد ما؟

رمقتها ماري بنظرة عتاب قائلة:

- معظم النساء هنا معجبات به، بحيث لا يجدن فيه أي عيب!

ولم تعرف كيلي لماذا طرحت هذا السؤال:

- هل هو متزوج؟
- لا . . . ولكن الأمر لن يطول اذا عرفت سيرينا دي باغو كيف تكسب وده. انها واحدة من أبرز النساء اللواتي يطاردنه (ثم عضت شفتها السفلى وكأنها تذكرت شيئاً مهماً) نسيت أن أقول لك انك ستنامين هنا.

نظرت كيلي اليها بدهشة، دون أن تستطيع طرد اسم سيرينا من ذهنها، وقالت:
- هنا؟

أجابت ماري بلهجة اعتذار:
- هل عندك مانع؟ هناك مؤتمر في الفندق غداً، ولا توجد غير غرفة واحدة شاغرة . . . وهي التي سيستعملها نيكولاس.

نظرت كيلي الى السرير المزدوج وقد احرجها ان تنام فيه بينما الزوجان في المستشفى، وقالت:
- طبعاً. لا أمانع. لكن . . . لكنها غرفة نومكما!

نهضت ماري قائلة:
- سيصبح هذه الغرفة معي عندما يشفى جورج ويعود الى البيت. كل شيء سيكون على ما يرام يا كيلي. لكن اذا ما تعرضت لمشاكل أو واجهت أية مصاعب فيمكنك الاعتماد على نيكولاس

وفجأة علا صوت محرك سيارة في الخارج، فقالت:
- ها هو قد أتى.

ودعتها كيلي الى الباب قائلة:
- بلغي تحياتي الى جورج . . . ونحن نتمنى له شفاء عاجلاً

ردت ماري وقد انحدرت الدموع على وجنتيها:
- انني على ثقة من ذلك. اشكرك جداً يا كيلي على بادرتك الطيبة.

٣ - شيء يشبه الغيرة!

حمل نيكولاس حقيبة ماري ونقلها الى السيارة، ثم فتح لها الباب وانتظر حتى استقرت في مكانها. واستغربت كيلي الواقفة عند الباب كيف يستطيع هذا الرجل القاسي أن يكون لطيفاً الى هذا الحد عندما يريد. ولعل هذه الميزة هي التي تجعله أفضل رجال القرية.

فكرت كيلي وهي تراقب السيارة تبتعد، ما اذا كان اللطف الذي يبديه نيكولاس مخصصاً لبعض الناس فقط... ماري زوجة أفضل اصدقائه، وسيرينا التي يخطط للزواج منها. لربما هو على علاقة حب معها... والحب يجعل تصرفات المرء حانية رقيقة؟!

ولشدة استغرابها شعرت كيلي بشيء يشبه الغيرة تجاه نيكولاس.. وهو ما لا تتوقعه أبداً. لقد تعرفت اليه قبل يومين

فقط، وكان من الواضح أنه يحتقر تصرفاتها ومواقفها. فهو يعتبرها مجرد دمية ثرية تملك المال الكثير وأوقات الفراغ التي لا تعرف كيف تشغلها بما يفيد. وحتى قرارها بالحلول محل ماري لن يغيّر من رأيه شيئاً... فلا شك أنه يعتقد بانه وضعها في موقف حرج لم تجد مخرجاً منه الا القبول. ولن تستطيع اقناعه ابداً بأنها كانت راغبة فعلاً بمساعدة ماري... بل هي لن تحاول مهما كانت الظروف.

أسرعت كيلي ناحية الفندق وهي تفكر باليومين اللذين ستقضيهما هنا. من المتوقع أن تحتك مع نيكولاس كثيراً في شؤون العمل. ولهذا عليها ابقاء علاقتها في هذا الاطار فقط. ومع ذلك لم تكن قادرة على نزع صورته من افكارها. ان كرامتها ترفض اسلوبه القاسي في التصرف معها... ولذلك فهي ستعمد الى وضع الأمور في نصابها وايقافه عند حدّه اذا ما حاول التعرض لها مرة اخرى. لكنّ صوتا ما في اعماقها الح عليها بالقول انها لم تتعرف طيلة حياتها على رجل مميّز مثل نيكولاس، يجمع في شخصيته القوة والحنان معاً.

دخلت كيلي الى المكتب وهي اكثر اصراراً على البقاء بعيدة عن سحر ذلك الرجل. ومهما كان الأمر، فستكون مشغولة باعباء ماري بحيث لن تجد الوقت الكافي لأي شيء آخر. وهكذا سيمضي اليومان بسرعة... وعندما تترك الفندق تكون هذه القصة قد اصبحت جزءاً من الماضي.

لم يبد موظف الاستقبال أي استغراب لوجودها، اذ ان نيكولاس ابلغه مسبقاً بحلولها مكان ماري. وعلى الفور سلّمها دفتر الحجوزات، فوجدت أن عدداً من المهندسين قد وصل تمهيداً للمؤتمر الذي سينعقد في الغد. كانت الحجوزات قد سجلت قبل اسبوعين، لكن ماري طلبت منها ان تتأكد من حصول كل ضيف

على غرفته . . . خاصة وان الفندق سيكون مزدحماً في غضون الأيام القليلة المقبلة.

أعادت كيلي الدفتر الى موظف الاستقبال، وهي مصممة على انجاح المؤتمر فخبرتها مع ابيها علمتها أن الفندق الناجح في خدماته سيجذب اليه الزبائن مرة أخرى. والمؤتمرات مصدر أساسي في ازدهار العمل، وبالتحديد خارج مواسم السياحة والاصطياف. ومما لا شك فيه أن جورج وماري بحاجة ماسة الى هذا النجاح.

بدأت كيلي تنفذ المهمات الملقاة على عاتقها واحدة بعد أخرى حسب تعليمات ماري. ولم تشعر الا والنهار قد انقضى بمعظمه دون أن يظهر نيكولاس في الفندق. هل عاد من المدينة؟ ولماذا لم يحضر بعد؟ انها ليست بحاجة اليه. فالأمور تسير بشكل طبيعي، وما استعصى عليها فهمه ساعدتها فيه موظفة تعمل في المطبخ. . . لكن الأسئلة ظلت ملحة.

في وقت متأخر من بعد الظهر، جلست كيلي في الشرفة تتناول فنجاناً من الشاي مع بعض البسكويت المصنوع محلياً. كان الجو مريحاً بوجود ضيوف عديدين، منهم عائلات تمضي اجازاتها في المنطقة، ومنهم جاءوا لقضاء شهر العسل بعيداً عن ضوضاء المدينة وصخبها. لكن القطاع الأكبر من الضيوف كان من الذين قدموا لحضور المؤتمر. وقد راقبتهم كيلي وهم يتناولون الشاي بارتياح، مسرورين لابتعادهم عن أجواء المكاتب. . . حتى من اجل حضور مؤتمر عمل مثل هذا.

كانت كيلي تشرف على توزيع الفناجين عندما سألها احدهم:

- لا شك أنك جديدة هنا. . . فقد كنت أتوقع السيدة اندرسون.

ابتسمت كيلي بلطف، وهي تجيب الرجل الذي يبدو عليه انه

أحد الزبائن الدائمين:

- السيدة اندرسون ستغيب لعدة ايام (وتمهلت تفكر اذا كان من الضروري ابلاغهم عن الحادث ثم قالت) لقد تعرض السيد اندرسون لحادث مؤسف، وهو في المستشفى الآن.

ظهر القلق على وجه الرجل، وقال:

- يؤسفني أن اسمع ذلك. هل الاصابة خطيرة؟

- اتمنى. . . اتمنى الا تكون كذلك.

أثر اهتمام كيلي على الرجل المتسائل، فقال:

- انني وحدي هنا. ما رأيك لو تنضمين اليّ بعد أن تنتهي من توزيع الشاي. . . يمكننا أن نتحدث اكثر؟

كانت هذه أول كلمات لطيفة تسمعها منذ مجيئها الى الفندق. ومع انها تشعر بالتعب وتتلهف لوقت الراحة، الا انها اجابت:

- هذا مما يسعدني.

عرفت أن اسمه اندرو لانغ، وهو في الثلاثين من العمر، تماماً مثل نيكولاس. لكن التشابه يقف عند هذا الحد فقط. فعلى النقيض من قسوة نيكولاس وحدة طباعه كان اندرو لطيفاً وحانياً. وسرعان ما اكتشفت أنه قادر على الفهم والتعاطف مع ما حدث ليلة البارحة. فهي لم تكن راغبة في اخبار أحد بالتفاصيل، لكنها وجدت لدى اندرو ما يشجعها على ذلك. وبعد ان انتهت من سرد القصة قالت معترفة:

- انني خجولة لما قمت به!

رد بهدوء ولطف:

- خجولة؟ لست أرى سبباً لذلك. كلنا نرتكب الاخطاء وأنت كنت تفكرين بخطيبك. . .

وأحست كيلي من نبرة صوته انه يضع اللوم على غاري، وقبل أن تحاول الدفاع عنه، تابع اندرو قائلاً:

- المهم انك تحاولين اصلاح ما انكسر... وهذه خطوة رائعة جداً.

قالت كيلي وهي تشعر بالارتياح:

- حقاً؟ كم اتمنى لو أن السيد فان ميجدين يرى ذلك!

- هل يعرف هويتك الكاملة؟

فوجئت كيلي بهذا السؤال. اذ من الواضح ان اندرو لانبغ لديه فكرة عن وضعها العائلي. والغريب ان اسم ابيها يؤثر على معظم الناس باستثناء نيكولاس. قالت وهي تبتسم:

- هذا الأمر لا يزيده الا احتقاراً لنا.

علّق اندرو بنبرة غاضبة:

- لا شك ان السيد فان ميجدين ظالم جداً.

وفجأة جاءهما صوت من الخلف:

- هكذا اذن يا آنسة ستانويك، انت تشتكين من سوء معاملتي أمام الضيوف؟

استدارت كيلي بسرعة وقد شحب وجهها لوقع المفاجأة. وعلى بعد خطوات كان نيكولاس يقف بتحد وغرور، وابتسامة ساخرة تملأ شفتيه.

انتفض اندرو واقفاً وهو يقول:

- كيف تجرؤ على هذا. لا شك أنك تعرف من تكون هذه الآنسة!

رد نيكولاس ضاحكاً:

- وهل يخفى القمر؟ (ثم خاطب كيلي قائلاً) هيا بنا يا

آنسة ستانويك فلدينا أعمال كثيرة.

لو أن الظروف غير هذه الظروف لعرفت كيلي كيف تجيب. لكنها وافقت على مساعدة ماري، وهذا يعني تحمّل وجود هذا الرجل وازعاجاته المستمرة. ولقد جاهدت كي تكبت في صدرها الغضب الذي كاد يتحوّل الى عبارات نارية... ان لم يكن بسبب ماري، فعلى الأقل من أجل الضيوف المنتشرين على الشرفة.

مدّ اندرو يده الى ذراعها وقال:

- هل تتناولي معي العشاء هذه الليلة؟

رد نيكولاس بقسوة:

- هذا مستحيل، فالآنسة ستانويك ستكون مشغولة بالمطبخ الليلة!...

نقلت كيلي نظرها بين الرجلين المتواجهين. كان الانفعال قد بدأ يظهر على ملامح اندرو، في حين ظل نيكولاس على هدوئه الذي يخفي قوة ارادته الصلبة. وخشيت كيلي ان يقدم أي منهما على خطوة غير مدروسة تؤدي الى ما لا تحمد عقباه. لذلك أسرعت تقول محاولة ازالة التوتر:

- ربما في وقت متأخر من هذه الليلة!

وانتظرت كيلي ريثما دخلا الى القاعة الرئيسية. لتلتفت الى نيكولاس قائلة بغضب:

- لقد تعمّدت الاساءة الى اندرو. هل تجد متعة في أن تكون قاسياً الى هذا الحد؟

تجاهل سؤالها، وقال:

- اذن انه اندرو؟ لا شك انك نشيطة جداً يا آنسة ستانويك.

ردت ببرود:

- انه مجرد حديث ودي حول فنجان من الشاي. واؤكد لك ان غاري يثق بي تماماً.

وجاءها الجواب الساخر:

- يا له من رجل مخدوع.

قررت كيلي عدم خوض نقاش غير مجد معه. فهذا الرجل متحجر العواطف. وعليها أن تتحمل هذين اليومين، وعندها ينتهي كل شيء. ولذلك غيّرت الحديث قائلة:

- هل هناك أخبار جديدة من جورج؟

اجابها بصوت هادىء:

- كنت اتساءل متى ستسألين. التحاليل لم تنته بعد. لكن العملية الجراحية ستجرى غداً.

وأحست كيلي بشيء مقلق في خفايا صوته الهادىء. فالتفتت اليه وقد امتلأت نفسها بالخوف:

- اذن، ليست في ساقه فقط؟

- هناك احتمال أن يكون ظهره مصاباً أيضاً.

- لا... غير معقول!

كانت الصدمة أقوى من أن تحتملها كيلي المرهقة، فأسرعت تستند الى ذراع نيكولاس كي تتجنب السقوط الى الأرض، وقالت:

- غير معقول يا نيكولاس... غير معقول!

ولم تنتبه الى انها نادته باسمه مجرداً لأول مرة منذ تعارفهما. كما وانها لم تعر كثير اهتمام الى يدها المستندة الى ذراعه القوية. أما هو فقد وقف يحدق فيها بعينين فقدتا الكثير من لمعانها الغاضب. وقال:

- كانت سقطة قوية وخطيرة.

عضت كيلي شفتها السفلى وهي تغالب الدموع المنهمرة:

- اجل. لقد كان مستلقياً بشكل غريب. كان عليّ أن انتبه لذلك... لكن اهتمامي الأساسي كان في عدم سقوطه الى الهاوية، ولذلك لم اهتم بظهره. (سكتت لبرهة كي تمسح دموعها ثم سألت) هل سيكون على ما يرام يا سيد ميجدين؟

- اتمنى ذلك (ثم مد يده الى ذقنها ورفع وجهها باتجاهه متابعاً) لقد ناديتني قبل قليل باسمي نيكولاس.

ردت بضعف:

- اجل...

- اذن دعينا من الرسميات يا كيلي. فالأمور تجري على طبيعتها في هذه المناطق.

سارت كيلي الى جانب نيكولاس الذي أخذ يشرح لها طبيعة عملها في المطبخ. بعض الأشياء التي ذكرها كانت ترديداً لما حدثتها به ماري، والبعض الآخر كان جديداً عليها. لكن الشيء الأساسي الذي ملأ عليها تفكيرها هو وجوده المؤثر الى جانبها. كان طويلاً، ممشوق القوام، حاضر البديهة، بحيث يطغى وجوده على كل ما عداه.

كانت كيلي تخشى هذا الرجل. فاللمسة الخفيفة التي تركها على ذقنها، ومناداتها باسمها الأول... تركا تأثيراً كبيراً عليها. وبقدر ما كانت تشعر بالكره تجاهه، كانت تجد نفسها غارقة بالتفكير فيه أكثر فأكثر. ولهذا شعرت بالارتياح عندما وصلا أخيراً الى المطبخ.

انها تجربة جديدة تماماً. فكيلي التي اعتادت طوال حياتها على الخدم يقدمون لها الطعام سواء في المنزل أو في المطاعم، دخلت الى المطبخ بأحاسيس التجربة الأولى. ومع ان ساعتين تفصلها عن موعد العشاء، الا أن النشاط كان على قدم وساق في المطبخ النظيف

والترتيب.

كان هناك طباخ للحم وآخر للخضار. وبما أن الأمور معدة منذ حوالي شهر تقريباً، فان كل واحد منهما يعرف واجباته تماماً. وهذا لا يغني ايضاً عن ضرورة وجود من يشرف على العمل، خاصة في وجود هذا العدد الكبير من الضيوف. وكان من عادة ماري أن تراقب كل شيء. . . وهذا ما يجب على كيلي أن تفعله الآن.

أحست كيلي بالضياع في هذا المكان. كل واحد من الموجودين يعرف تماماً ما يفعله، اما هي فقد كانت غريبة، لكن نظرة منها الى نيكولاس الواقف عند الباب جعلتها تتشجع كي لا تفشل امامه. وكأنه أدرك ما تحس به، فسألها قائلاً:

- هل انت قادرة على هذه المهمة؟

نظرت اليه شذراً وردت بهدوء:

- طبعاً استطيع.

- حسناً جداً.

ثم استدار خارجاً من حيث أتى. وهكذا انهمكت كيلي في ساعتين كاملتين من العمل المتواصل. صحيح أن الطباخين والخدم كانوا يعرفون ماذا يفعلون، لكنهم ظلوا يلجأون اليها في كل شاردة وواردة تماماً كما عودتهم ماري. . . على الرغم من معرفتهم بأنها ليست ماري ولا تملك خبرتها ايضاً.

ولم يعد نيكولاس الى المطبخ الا بعد أن شارف العشاء على الانتهاء، ليدعوها الى طاولة صغيرة في احدى زوايا المطعم. وعندما وضعت الصحون أمامها، أدركت كيلي كم هي جائعة فعلاً. وأقبلت على الطعام الذي لم تذق له مثيلاً في حياتها.

ظلا صامتين لفترة، ثم قال نيكولاس:

- لقد قمت بعمل طيب.

نظرت كيلي اليه والدهشة تعلو وجهها. هذه اول عبارة مديح تسمعها من هذا الرجل. لذلك لم تجد اكثر من كلمة شكراً ترد بها عليه.

وفجأة سألها:

- هل انت متعبة؟

رمقته بنظرة تحفز وهي تتوقع منه عودة الى الكلام اللاذع وقالت:

- لا. . . ابداً.

ولم تكن تكذب في هذه العبارة بل لعلها لم تعرف جواً اليفاً كهذا الجو منذ زمن بعيد. وازدادت ابتسامتها اتساعاً، وأضفت حمرة خديها فتنة خاصة على وجهها الأبيض البض. لكنه قال فجأة:

- هذا ممتاز. . . فهناك عمل كثير يجب انجازه في الغد.

هكذا، وبكل بساطة، حوّل نيكولاس الجو الجميل الى توتر خانق. واختفت الابتسامة عن محياها، وهي تفكر في هذا الرجل الذي لا يستقر له حال. لا شك أن المعاملة اللطيفة التي يظهرها مع ماري. . . هي لزوجة صديقه فقط. وعليها ألا تتوقع منه اي شيء غير ما هو عليه الآن. وعلى حين غرة لعلع صوت نسائي:

- حبيبي نيكولاس. . .

ورفعت كيلي وجهها لتجد امرأة شابة جميلة تقف خلف نيكولاس، واضعة احدى يديها على كتفه بحنان ومحبة. . . وهي تقول:

- هل نسيت موعدنا يا حبيبي؟

ردّ بصوت حازم:

- سنجلس سوياً بعد العشاء، لقد كان يوماً حافلاً يا

سيرينا.

قالت الشابة وهي لا ترفع عينيها عن كيلي:

- انا أعرف ذلك يا حبيبي. ألا يكفيك عملك المتعب في المزرعة، حتى تضطر الى رعاية الفندق بعد الحادث المؤسف الذي وقع لجورج؟

اجابها وقد بدت على وجهه ملامح نفاد الصبر:

- كان جورج سيفعل الشيء نفسه لو كان مكاني. هيا اجلسي يا سيرينا فنحن على وشك تناول الحلويات.

سحبت سيرينا الكرسي المجاور لنيكولاس وجلست بهدوء. كان شعرها الأسود المرفوع الى الأعلى يظهر تقاطيع وجهها الفاتن، خاصة سواد عينيها الواسعتين فوق شفتين قرمزيتين ممتلئتين. وعندما تأملت كيلي قوام سيرينا المشوق، أدركت لماذا اكدت لها ماري ان هذه المرأة هي المفضلة على جميع النساء اللواتي يسعين للفت انتباه نيكولاس. ومع ذلك رأت كيلي أن سيرينا غير فاتنة بشكل عام... أم ان هذا الرأي جاء بسبب العلاقة الخاصة التي تربطها مع الرجل الجالس الى جانبها، بحيث أن زواجها أصبح مسألة وقت فقط؟

قالت سيرينا وهي لا ترفع عينيها عن كيلي:

- لا اريد هذا النوع من الحلويات... ارجوك حدثني عن جورج.

- ليس هناك الكثير حوله، سوى أن العملية الجراحية ستجرى غداً.

- اتمنى أن يشفى بسرعة، فأنت لا تستطيع أن تهتم بالمزرعة والفندق في الوقت نفسه.

وتوقعت كيلي أن يرد نيكولاس على سيرينا بالاسلوب نفسه الذي

عوّدته منه... لكن تلك الفتاة تابعت تقول:

- في هذه الحالة لا ضرورة لكل الاشكالات. فقد كانت المشكلة سبباً في اقناع جورج بالذهاب الى الجبل، اليس كذلك؟

هكذا اذن. لقد تحدث الاثنان في مسؤولية كيلي عن الحادث! وما كان بامكان سيرينا أن تقول اكثر مما قالت لتشير الى دور كيلي في الاصابة التي لحقت بجورج. وأحست هذه الأخيرة بالألم، ليس لملاحظات سيرينا فقط، بل لأن ما تقوله حقيقة... وهي مسؤولة عن المشكلة من أساسها.

كانت كيلي ترغب في الانسحاب عن الطاولة لتؤكد لنيكولاس وفتاته انها غير عابئة بكل آرائهما. ولكن ذلك قد يشعر سيرينا بالتشفي والانتصار. وما عليها في الحالة هذه الاّ التحلّي بالصبر واستعمال ما تعلمته من الحفلات الكثيرة التي أقامها والدها كي تضع الامور في نصابها.

وجهت كيلي ابتسامة عريضة الى سيرينا، وقالت بخفة قصدت منها احباط هجمات غريمتها:

- هذه الحلوى لذيذة جداً، وعليك أن تتذوقيها لتعرفي قيمتها.

أصيبت سيرينا بالدهشة، وانفرجت شفتاها عن أسنان بيضاء ناصعة. لقد وضعتها كيلي في مكانها بتجاهلها لما قالت حول حادثة جورج. لكن ذلك لم يشف غليلها. وانتظرت حتى انتهت من تناول الحلويات، لتهب واقفة وهي تقول:

- ارجو المعذرة... لدي موعد يجب أن اليه.

كان اندرو لانغ يجلس وحيداً في الشرفة وعندما شاهدها انتصب

واقفاً، وقال بابتسامة عريضة:

- كنت انتظر مجيئك بشوق.

سحب اندرو كرسياً لكيلي وأجلسها عليه، ثم جلس الى جانبها وأشار الى الخادم كي يحضر لها فنجانين من القهوة مع الحليب.

وبعد أن أحضر الخادم القهوة، سألها اندرو ببساطة:

- ألا يعارض خطيبك في بقائك هنا وحيدة؟

حدقت كيلي في خاتم الخطوبة وقد أدهشها انها لم تفكر في خطيبها طيلة هذه المدة، ثم قالت:

- لا اعتقد انه يوافق على ذلك.

- ولكنه لا يمانع أيضاً؟

وشعرت بأن هناك شيئاً مبهماً يدور في ذهن اندرو. لذلك فضلت عدم الاجابة المباشرة على سؤاله، واكتفت بالقول:

- الحقيقة انه لم يكن لديه خيار أبداً. لقد قررت العودة الى الفندق... وانتهى الأمر عند هذا الحد.

- يا لك من امرأة قوية الارادة.

كانت ابتسامة اندرو التي رافقت عبارته الأخيرة صادقة ودافئة. فهو ليس من النوع الذي يلحّ في اسئلته. لكن كيلي قررت الايضاح اكثر، فقالت:

- لم يكن غاري قادراً على العودة معي. فهو مرتبط بموعد في دوربان اليوم.

غير أنها لم تقتنع شخصياً بهذا العذر لهذا أضافت مغيرة الحديث:

- والآن حدثني عن نفسك وعن هذا المؤتمر.

أخبرها انه مهندس مدني يعمل في بناء الطرقات والجسور. وقال لها أن المؤتمر يتناول آخر ما استجد في تقنية هندسة الطرقات والمشاريع المماثلة. وأشار الى أن مسؤولياته العملية تستغرق كل وقته، وهو مضطر للسفر كثيراً... ولذلك لم يتزوج حتى الآن. أما في المرحلة الحالية فهو يعمل مستشاراً في مكتب هندسة، وقد بدأ يشعر بضرورة الاستقرار العائلي.

كان يتكلم ببساطة وارتياح. غير أن الرسالة التي أراد ايصالها الى كيلي كانت واضحة. انه اعزب، واذا ما كانت هي غير مرتاحة مع خطيبها... فهو مستعد لبدء علاقة جدية.

لكن كيلي لم تستجب لحديثه. ومع ذلك رأت نفسها تعقد مقارنة بين الرجال الثلاثة:

غاري يشعلها دائماً بالاثارة والمغامرات والمرح، ونيكولاس يشعرها بالتوتر سواء تحدث اليها أو لمسها... أما مع اندرو فهناك الهدوء والحديث الرصين الممتع.

ووجدت كيلي نفسها تحدق مرة اخرى في خاتم الخطوبة وتتساءل: أنها كانت حرة الآن فكيف تتصرف مع اندرو؟ هل تتقدم نحوه كما يتقدم نحوها؟ هل تشعره انها مهتمة ايضاً؟ لقد كانت تؤمن دائماً بالحب الرومانطيقي طريقاً الى الزواج. وهذا الحب هو الذي دفعها نحو غاري. أما الآن، وهي تنظر الى وجه المهندس الشاب، فقد أدركت أن الحب مع رجل مثل اندرو يمكن أن ينمو بعد قيام العلاقة.

ومن بين أمواج الأفكار المتلاحقة في ذهنها، طفا على السطح وجه آخر قاسٍ. وللحظات طغى هذا الخيال على المهندس الشاب الذي جلس الى جانبها ويتكلم دون أن تعي شيئاً مما يقول. وجاهدت كيلي

كي تركز انتباهها على اندرو طاردة من ذهنها خيالات نيكولاس المشاكس.

وفجأة، لمعلت ضحكة عالية جعلت كيلي تتسمّر في مكانها. فقد كانت سيرينا تستمتع بوقتها الى أبعد الحدود، بعد أن خرجت مع نيكولاس من صالة الطعام الى الشرفة... وجلسا في مكان قريب من اندرو وكيلي.

ومن غير أن تدري تغيّر مزاج كيلي رأساً على عقب. فبعد ان كانت مرتاحة هي وأندرو في هدوء الليل المنعش، باتت تشعر بثقل غريب يربض على صدرها فيجعل أنفاسها صعبة وقاسية. وأخذت تتساءل عما اذا كان نيكولاس قد رآها على الشرفة. وماذا يهم لو رآها؟ فهو يبدو منشغلاً عن الدنيا كلها بتلك المرأة التي اسمها... سيرينا.

ومرة اخرى جاهدت كيلي لتركز انتباهها على اندرو. وراحت تتحدث اليه في مواضيع مختلفة كالموسيقى والكتب والرسم، لتكتشف أن هناك أشياء كثيرة مشتركة بينهما. وكان من الممكن أن تنتهي السهرة جميلة هادئة كما بدأت، لولا وجود نيكولاس وسيرينا المفاجيء على الشرفة.

وشيئاً فشيئاً بدأت الشرفة تودع روادها. وأخذ الضيوف ينسحبون الى غرفهم طلباً للنوم، واستعداداً لمهمات اليوم التالي. البعض سيقضيه في مناقشات وحوارات تتعلق بالأعمال، وآخرون سيذهبون في نزهات ريفية ساحرة. وما أن أعلنت كيلي عن رغبتها بالنوم، حتى هب اندرو واقفاً معرباً عن استعداده لمرافقتها الى كوخها... لكنها صدته بلطف ودلال.

ساراً معاً حتى نهاية الممر خلف الفندق. وعندما وقفا لالقاء تحية

المساء، انحنى اندرو على جبينها، وقبله قائلاً:

ـ نامي جيداً يا كيلي.

٤ ـ مناورة ليلية

لم تعد كيلي الى الكوخ فوراً. فهي لا تشعر بالرغبة في النوم، بالرغم من أنها هي التي اقترحت انهاء السهرة مع اندرو على الشرفة. ولذلك اتجهت نحو الحدائق الصامتة المحيطة بالفندق من كل النواحي، في محاولة للانفراد بنفسها والتفكير بأحداث اليوم العاصفة.

صحيح أنها كانت مرتاحة مع اندرو الذي عرف كيف يخفف التوتر عنها ويعيد الابتسامة الى وجهها المتعب. لكن الأمر في النهاية أصبح اصطناعياً ومزعجاً، خاصة بعد مجيء نيكولاس وسيرينا. المهم الآن أنها وحيدة، وتستطيع أن ترخي أعصابها المشدودة وتفكر بهدوء.

كان الطقس بارداً الى حدّ ما، دون أن يؤثر ذلك عليها. كم تختلف هذه الليلة عن الليلة السابقة. فبالأمس كانت السماء مشحونة بالغيوم، والجبال تبدو كالأشباح تراقب الحادث غير المتوقع الذي ذهب ضحيته جورج المسكين.

أربع وعشرون ساعة مضت على بدء رحلة العودة من الجبل. كيلي وغاري والكسندر وشيلا في مجموعة، ونيكولاس ورجاله يحملون جورج الجريح في مجموعة أخرى. وبالنسبة الى كيلي تبدو هذه الساعات وكأنها أيام طويلة لما شهدته من تطورات متعاقبة.

عثرت كيلي في سيرها على مقعد جانبي تظلله أغصان شجرة متدلية، فجلست عليه. المشهد من هنا رائع في النهار فهو يطل على الوديان والينابيع التي لا تعد ولا تحصى. لكنها لم تأتِ الآن لتأمل الطبيعة، بل هي لا ترغب حتى في الذهاب الى الكوخ المخصص لنومها... وبالتحديد الى غرفة نوم جورج وماري. فهناك ستشعر أكثر بغربتها، وستعود اليها مشاعر الذنب والحزن.

قادها تفكيرها الى جورج نفسه، وكيفية وقوع الحادث. طيلة السنوات الماضية كان مال ابيها هو العامل الرئيسي في حياتها. وهو متوفر دائماً بدون أن تفكر فيه او تسعى اليه. وما يعنيه لها أنه قدرة شرائية لا تحد، وفي الوقت نفسه يملك تأثيراً سحرياً في فتح الابواب الموصدة. ومع أنها لم تفكر كثيراً في الشؤون المالية من قبل، الا أنها تدرك الآن أن مال ابيها كان الكلمة السحرية «افتح يا سمسم» التي لا يعصى عليها شيء... حتى الناس.. فدائماً كانت تجد من يغدق عليها الاهتمام ويسعى الى صداقتها تحقيقاً لمصالح ذاتية معينة.

الحادث الذي وقع بالأمس هزّها من الأعماق. ولأول مرة في

حياتها تستنتج أن المال الذي لا يستعمل في مكانه المناسب يمكن أن يعطي نتائج عكسية. فعندما عرضت على جورج مبلغاً اعلى بكثير مما هو متعارف عليه، انما كانت تعزف على الوتر الحساس في مثل وضعه المالي المتدهور بحيث لم يستطع الرفض رغم المخاطر المحدقة بالرحلة. ولن يعفيها من المسؤولية كونها فعلت ذلك من أجل غاري، بل انّ ذلك يزيد الأمر سوءاً. فهي تدرك الآن انها عرّضت حياة رجل للخطر لمجرد أن خطيبها أراد الفوز برهان ما!

ربما لن تعود الى هذه المنطقة مرة اخرى، لكن ما حدث خلال هذين اليومين سيترك بصماته واضحة في حياتها لمدة طويلة جداً. لقد تغيّرت بشكل أو بآخر وهي مضطرة للاعتراف بأن مشاعرها نحو غاري، رغم حبها له، لن تظل كما كانت عليه من قبل. ستحاول الا تثير مأساة الفندق أمامه كي لا تثير غضبه، غير ان هذا لن يمنعها من رؤية الجوانب السيئة في شخصيته بالاضافة الى المزايا الحسنة التي جذبتها اليه. ومن الأشياء التي ستلاحظها تهوّره المتزايد عن اللزوم...

وتساءلت كيلي باستغراب: هل لعب هذا اليوم دور المحرض على التفكير واستعراض المشاعر؟ فكرت كثيراً بأندرو. انه ناضج، حساس وذو حديث ممتع. قد لا يكون جذاباً ومرحاً مثل غاري، غير أنه جذاب بشكل أو بآخر.. اضافة الى أنه صاحب شخصية مستقلة يمكن أن تسعد أية امرأة ستشاركه حياته في المستقبل.

هناك ايضاً نيكولاس. ومهما حاولت وجربت، فانها لن تستطيع ابعاده عن ذهنها.

ان شخصيته المسيطرة قادرة على اقتحام افكارها حتى في أحرج الأوقات. وهو يجمع في ذاته كل الصفات التي تكرهها: مكابر، مخادع ومسيطر. ولعله كسب هذه المزايا من حياته المستقلة القائمة بذاتها. ووجدت كيلي نفسها تتساءل عما اذا كان نيكولاس فان ميجلدين قد مر بمرحلة المراهقة؟ فرجل في مثل صلابته وجديته لا يعقل أن يكون عرف حياة المرح التي تتميز بها سنوات المراهقة. من المؤكد ان نيكولاس يحب المخاطرة، لكنها المخاطرة التي يقرر هو قبولها بعد أن يكون قد درس كافة تفاصيلها... وهي لن تكون أبداً على حساب انسان آخر.

أما كيف تعرف كيلي كل هذه التفاصيل عن الرجل الذي تكره، فهذا ما لم تستطع الاجابة عليه. الشيء الوحيد الذي بات مؤكداً هو انها تجري مقارنات بين غاري من جهة وأندرو ونيكولاس من جهة اخرى، ولشدّ ما آلمها أن يحتل خطيبها في الحالتين المرتبة الدنيا.

أحست كيلي بشيء يتحرك قرب قدمها. وفجأة قفز جسم لزج على ساقها، فأطلقت صرخة رعب خفيفة. ومن حيث لا تدري جاء صوت ساخر اعتادت عليه مؤخراً:

- انها ضفدعة.

استدارت بعنف والخوف يعلو محياها، وهي تجاهد لكبت صرخة حشرجت في صدرها. وأخيراً وجدت الكلمات لتقول:

- كيف عرفت؟

- انني مزارع كما تعرفين!

خطت خطوة عاجلة الى الوراء وقالت:

- وأين الآنسة دي ياغر؟

- لقد ذهبت الى البيت.

- وهل تعيش قريباً من هنا؟

- مزرعتهم مجاورة لمزرعتي.

انهم جيران اذن. وهذا يعني أن سيرينا زائرة دائمة لمزرعة نيكولاس. ان الأمر واضح جداً من خلال طريقة اقترابها منه هذا المساء. ولكن لماذا يزعجها ذلك؟

ـ لقد قالت انكما على موعد؟

رد بصوت كسول:

ـ مجرد فيلم سينمائي في القرية.

تابعت كيلي الحديث وكأنها تستدرجه للاعتراف:

ـ انت لم تذهب لأن الوقت متأخر. ولا شك انها انزعجت من ذلك؟

اجاب بهدوء:

ـ سيرينا تنزعج؟ ابداً، فهي تفهم وضعي. على كل ليس هذا موعدنا الأول... ولن يكون الأخير.

ورغماً عنها، أحست كيلي بطعنة في صدرها عندما سمعت الكلمات الأخيرة. لم يكن هناك سبب لذلك. فهي لم تغيّر نظرتها الأولى لنيكولاس. وكل ما فعله وقاله منذ تعرفت عليه امس، يجعلها تزداد كرهاً له وابتعاداً عنه. ويضاف الى ذلك انها مخطوبة لرجل آخر وستتزوجه قريباً.

وأنقذها صوته من حيرتها وتساؤلاتها عندما قال:

ـ وأنت كيف كان موعدك؟

وللحظات أحست كيلي بالحيرة:

ـ موعدي؟ آه... تقصد السهرة مع اندرو لانغ؟ انها لم تكن موعداً ابداً.

اجابها متسائلاً:

ـ حقاً؟ خيل اليّ انكما اتفقتما على موعد بعد العشاء. وحيث أن

الرجل لم ينضم الى زملائه في سهرتهم، فقد كان ينتظرك ولا شك!

ووجدتها فرصة للهجوم عليه:

ـ وماذا يعنيك في الأمر؟

ردّ بلا مبالاة:

ـ لا يعنيني ابداً. لكنني اتساءل عن موقف خطيبك من ذلك؟

علقت بهدوء:

ـ غاري يثق بي تماماً... وقد اكدت لك ذلك من قبل.

قال ساخراً:

ـ هذا ما قلته بالفعل.

حبست كيلي انفاسها وهي تقول:

ـ لماذا تكرهنا الى هذا الحد؟

رد نيكولاس باندهاش:

ـ اكرهكم؟ انا لا اكرهك يا كيلي، ولا اكره غاري ايضاً.

ـ لكنك تحتقرنا!

ظلت نبرة صوته قاسية وهو يقول:

ـ لنقل انني لا احترم الناس الذين يعيشون عالة على الآخرين.

سألته والغضب يغلي في دمها:

ـ هكذا ترانا اذن؟

ـ ماذا تسمين الرجل الذي يستعمل خطيبته الثرية لشراء كل ما يريده؟ ثم يقبل أن تستعمل المزيد من مالها حتى يريح ضميره وضميرها؟ (واضاف بعد تردد) أو انك تريدين اراحة ضميرك فقط؟

وعندما لم يسمع منها جواباً، اضاف:

ـ ان صمتك هو الجواب الحقيقي.

ردت بمرارة واضحة:

- لن احاول أن ادافع عن غاري أمامك. لكن هل تعتقد انني عالة ايضاً؟

- وماذا غير ذلك؟ هل قمت طيلة حياتك بعمل حقيقي مفيد غير ما فعلته اليوم؟

خيم الصمت مرة اخرى. ليس هناك فائدة من اخباره عن العمل الخيري التطوعي الذي تقوم به أربعة ايام في الاسبوع، حيث تزور المستشفيات لرعاية الأطفال المرضى ومساعدتهم في دروسهم وهواياتهم. انه لن يصدق... وحتى لو فعل، فان ذلك لن يغير شيئاً.

وفاجأها بسؤال مسّ جانباً حقيقياً في علاقاتها مع الآخرين:

- وهل تعرفين فعلاً طبيعة الناس الذين تتخذينهم اصدقاء لك؟

فأجابت بتردد:

- في بعض الأحيان. لكنني أعرف أن غاري يريدني لشخصي وليس لمالي.

توقعت أن يرد عليها بتعليق ساخر قاس، فاستعدت له. لكنه ظل صامتاً... فأضافت تقول:

- وأنت يا نيكولاس، هل يعني لك شيئاً كوني ابنة روبرت ستانويك؟

وجاء الجواب اللامبالي:

- لا شيء على الاطلاق... هل ازعجك ردي؟

ردت ببساطة:

- أبداً.

واستغربت في اعماقها كيف أن اجابته اسعدتها بدل ان تغضبها.

فبعد سنوات من العلاقات مع اناس كانوا يطلبون رضاها لمجرد انها ابنة الصناعي الثري، اصبحت تفرح اذا وجدت شخصاً لا يهمه من أمر ثروة عائلتها شيء على الاطلاق. ولشدة خوفها ودهشتها وجدت انها تتمنى لو استطاعت الارتماء بين ذراعيه بهدوء وحنان. ولكن كيف يحدث هذا، وهي التي تفاخر صديقاتها بعقلانيتها وسيطرتها على نفسها؟ ان هذا الرجل يملك سحراً يجعل من الصعب على أية امرأة مقاومته.

وللخروج من هذه الأفكار والمشاعر المتضاربة، قالت وهي تجاهد لاخفاء اضطرابها:

- تصبح على خير... انا ذاهبة للنوم الآن.

قال وهو يقترب منها:

- طالما اننا ذاهبان الى المكان نفسه، فلا بأس من أن نترافق!

جمدت كيلي في مكانها وقد علتها الدهشة والحيرة. ان الكوخ في الجهة الأخرى من الفندق، فماذا يقصد بالضبط؟ لقد كانت ماري واضحة تماماً عندما أكدت لها ان نيكولاس سينام في الفندق. لذلك قالت:

- لم أفهم ما قلت.

أجابها بضحكة خفيفة ممزوجة برنة سخرية واضحة:

- حقاً؟ اننا سننام في الكوخ نفسه!

صرخت بلا شعور:

- لا.

ردّ دون أن يخفي ضحكته:

- بلى!

وجدت صعوبة في ايجاد الجملة اللازمة، لكنها قالت:

- ماري قالت... قالت انك ستنام في الفندق.

هز رأسه موافقاً وقال:

- انا متأكد انها قالت ذلك.

حدقت فيه بعدم تصديق قائلة:

- لقد كذبت علي؟

اجاب بسخرية متعمدة:

- لا داعي للتأثر والانفعال. كنت انوي فعلاً النوم في الفندق. لكن عروساً وعريساً جاءا قبل العشاء بحيث لم يبق لي مكان.

سألته باستغراب:

- وهل كان لديهما حجز؟

- لا.

- كان بامكانك رفض طلبهما.

رد بنعومة وهدوء:

- هذا قرار غبي. فالفندق يحتاج الى كل قرش، وخاصة الآن. (ثم وضع يده على ذراعها متابعاً) هيا بنا يا كيلي، لقد تأخر الوقت.

انتزعت ذراعها من يده دون أن تنبس ببنت شفة. إن لمسته مؤثرة بشكل لا يوصف، وهي لا تستطيع التفكير ومشاعرها مضطربة. وبعد لحظات قالت:

- انني ارفض النوم معك.

اجابها وهو يضحك:

- انا لم اقترح ذلك، مع ان الفكرة لا بأس بها. فأنت امرأة

جميلة... ولا شك أن اندرو لانغ اكد لك ذلك خلال السهرة!

انتفضت غاضبة وهي تقول:

- ان اندرو لانغ رجل مهذب ولطيف.

- لست متأكداً انه كذلك في كل شيء!

قالت بصوت يشبه الفحيح:

- انك رجل كريه للغاية. ولن اسمح لك أن تنام معي يا نيكولاس.

اجاب بنعومة:

- ليس معك يا عزيزتي... بل في الكوخ نفسه.

واضطرت كيلي الى استعمال اسلوب آخر:

- ارجوك يا نيكولاس... انا لا استطيع... فماذا سيقول غاري اذا عرف ذلك؟

- خطيبك لم يظهر أي اهتمام حتى الآن... ولست ارى سبباً يدفعه للغيرة اليوم.

وعاودت كيلي الى لهجة الهجوم قائلة:

- انك تنتهز كل فرصة لاحتقاره. لكنه يساوي عشرة من امثالك يا نيكولاس فان ميجدين. على كل حال، هذه المناقشة عقيمة ولن تحل أي شيء.

وتكلم نيكولاس هذه المرة بصوت قاس وحازم:

- فيما يخصني شخصياً، لا اعتقد ان هناك شيئاً يحتاج الى حل.

- انت تعرف انني لن امضي الليلة معك في ذلك الكوخ مهما كلف الامر!

- وأنت تعرفين ان كل غرف الفندق مشغولة. (ثم قال بعد تردد) وبما أن فكرة مشاركتي الكوخ غير مستحبة لك، فما رأيك بسؤال اندرو لانغ ما إذا كان يرحب بك في غرفته؟

قالت وهي تكبت غضبها:

- لا استطيع أن افعل ذلك.

ومرة اخرى تعود السخرية الى صوته:

- ولم لا؟ طالما انه لطيف كما وصفته، فانه سيحمي لك كرامتك... هذا اذا كان عندك شيء منها بعد!

كانا قد وصلا الى الكوخ في هذه الأثناء. وعند عتبة الباب استدارت كيلي بعنف وقد أثارتها حتى الصميم العبارة الأخيرة التي نطق بها. قالت:

- ماذا تقول أيها المجنون؟

- اقول ان ادعاء الفضيلة لا يناسبك مطلقاً.

- اذهب عني الآن.

لكنه ازداد اقتراباً وهو يقول:

- افتحي الباب يا كيلي.

- لا. ابداً.

- حسناً جداً.

ودون أن يعطيها مجالاً للمناورة، أمسكها بإحدى يديه وأبعدها، في حين عملت اليد الأخرى على فتح الباب. وبحركة استعراضية مفاجئة، انحنى نيكولاس جانباً مفسحاً لها مجال الدخول وهو يضحك. عندها وجدت كيلي أن هناك فرصة سانحة، فما أن خطت الى الداخل حتى أسرعت تغلق الباب... لكن ذلك الرجل المتوحش كان أسرع، فوضع قدمه في الطريق مقاوماً محاولات كيلي

لطرده الى الخارج. ولم يستغرق الأمر أكثر من ثوان معدودة... وكان الاثنان قد اصبحا في الداخل.

حتى طريق النجاة الى غرفة النوم أصبحت صعبة. اذ ان نيكولاس حدس ما تفكر كيلي فيه لذلك وقف بينها وبين آخر منفذ لها. وقفت كيلي هناك وهي ترتجف خوفاً وانفعالاً. وبعد لحظات استطاعت أن تقول:

- ارجوك يا نيكولاس.

رد عليها ساخراً:

- ارجوك يا نيكولاس! ترجينني على ماذا؟

لم تكن هناك أية علامات للتراجع على وجهه. فملامحه صلبة قاسية لا تعرف الرحمة ولا الهوادة. ويظهر انه صمم على أمر ما... ليس باستطاعة احد أن يمنعه عن تحقيقه.

ودون أن تدري، ورغم المقاومة العنيفة التي ابدتها، حملها نيكولاس بين ذراعيه كطفلة صغيرة وسار بها الى غرفة النوم. ولم تجد كيلي في وضعها هذا إلا الدموع سلاحاً تواجه به قسوة الرجل ولا مبالاته المروعة عندما القى بها على السرير وكأنه يرمي بغرض مهمل لا قيمة له.

وقف نيكولاس هناك وهو يرقب دموعها المنسكبة ثم قال:

- اهدأي ايتها الصغيرة... فأنا لن أتعرض لك بسوء. (وقال بعد تردد) تصبحين على خير يا كيلي.

استردت كيلي انفاسها وسألته بدهشة مشوبة بالارتياح:

- هل ستعود الى الفندق؟

- ليس هناك غرفة كما تعلمين. وللمعلومات فقط، فأنا أفضل

النوم على الأريكة في غرفة الصالون. (ثم استدار وهو يقول) نامي جيداً يا كيلي ستانويك!

ثم أغلق الباب خلفه بهدوء.

٥- لم تكرهني!

ظلت كيلي مستلقية دون حراك لمدة طويلة، تسرح نظرها في الحديقة الممتدة عبر النافذة المفتوحة على مصراعيها. خيّل اليها أن ساعات مضت عليها، وهي تعيد التفكير في أحداث الأمسية العاصفة.

عقلها الواعي يؤنبها على سماحها لنيكولاس بأن يفرض عليها نفسه بهذا الشكل، ويدعوها لأن تترك الفندق بأسرع وقت ممكن هرباً من الرجل الذي تكرهه وتخشاه. لكن كان هناك جانب آخر من نفسها يدعوها الى العكس تماماً. ففي أعماق مشاعرها، تحس كيلي لأول مرة بوجود رجل استطاع أن يفجر فيها أحاسيس الأنوثة الكامنة. وهي تتمنى لو يظل الى جانبها طيلة الوقت.

في المجتمع الذي عاشت فيه كيلي حياتها، كانت النسوة يعشن حياتهن كما يحلو لهن. أما هي فتعتبر أن الحب شرط أساسي وأولي لأية علاقة بين رجل وامرأة. ومن هنا منبعث الحيرة في نفسها: اذ كيف تريد هذا الرجل أن يقبل الى جانبها وهي لا تحبه... بل لا يمكن أن تحبه أبداً؟

ترى ماذا سيقول نيكولاس لو عرف أحاسيسها هذه؟ هل سيواجهها بالنظرات الساخرة نفسها التي اعتادت عليها منذ لقائها الأول به؟ لكنه لن يعرف أبداً. فبمجرد عودة ماري اندرسون من المستشفى، ستغادر كيلي الفندق... ولن تراه بعد ذلك على الاطلاق.

واخيراً جاء ملاك النوم، لتغرق في سبات عميق بعد نهار حافل بالأحداث والمشاغل. ولم تدر كم مضى من الوقت على نومها، عندما استيقظت فجأة. كان الظلام ما زال مخيماً في الخارج، لكن رائحة القهوة تنبعث من غرفة الجلوس حيث ينام نيكولاس.

وبصعوبة بالغة جلست في سريرها وهي تفرك عينيها علها تستيقظ نهائياً. وعندما نظرت حولها بعد لحظات، وجدت نيكولاس يقف الى جانبها وفي يده فنجان القهوة!

سألته بجفاء وهي ترفع الغطاء الى عنقها:

- ماذا تفعل هنا؟

- لقد حان وقت الاستيقاظ.

اعترضت قائلة:

- انني متعبة، وما زال الوقت مبكراً.

قال دون الانتباه الى اعتراضها:

- انها الساعة السادسة تقريباً. وهذا وقت ذهابك للعمل.

أثار جوابه البارد غضبها، فصرخت آمرة:

- هيا أخرج من هنا.

لكنه لم يتزحزح من مكانه. وأمام عناده الصلب، رأت كيلي أن تغير لهجتها فقالت متوسلة:

- انني متعبة. لقد كان الأمس يوماً طويلاً شاقاً.

أجابها بصوت لا يحمل أية مشاعر:

- واليوم سيكون أطول. هيا اشربي القهوة يا كيلي، وبعد ذلك ستشعرين بالانتعاش.

ومع أنها كانت بأمس الحاجة الى فنجان قهوة. الا انها لم تشأ أن تقبل عرضه كي لا يعتبر ذلك انتصاراً اضافياً له. فقالت:

- لا. لن آخذ فنجانك، وأنا مصممة على النوم لساعة أخرى على الأقل. والآن هلا تكرمت وخرجت من هذه الغرفة؟

رسم نيكولاس ابتسامة خبيثة ساخرة على طرف شفتيه وهو ينظر اليها بعينين عمليتين ثاقبتين. وقال بعد تردد:

- هكذا اذن، أنت تفضلين استعمال الأساليب القاسية. اني أتساءل ما اذا كان السيد غاري سلون يعرف هذه الميزة في شخصيتك؟

وعلى حين غرة، سحب الغطاء بقوة، وجذبها من ذراعها... بحيث صارت على الأرض. وبمزيج من الفزع والألم صاحت:

- دعني أيها المتوحش.

ردّ بعنف:

- هل تعتقدين انني افكر بأشياء أخرى؟ لا يا كيلي، فهناك عمل كثير ينتظرنا. (ثم قادها أمامه ناحية الحمام وأضاف) هيا اغتسلي واستعدي.

أجابته بمرارة:

ـ أنت تشعر بالسرور عندما تعذبني بهذا الشكل، أليس كذلك؟

قال بلا مبالاة:

ـ أهكذا ترين الأمور؟ ربما هي المرة الأولى في حياتك التي تعاملين فيها مثل بقية البشر العاديين.

لا شك أنها المرة الأولى التي تتعرف فيها الى شخص مكابر ومغرور مثل نيكولاس. ومن أعماقها جاء صوت خافت ليهمس، انها المرة الأولى ايضا التي تواجه رجلا قادراً على الوقوف أمامها نداً لند. كل الذين قابلتهم من قبل كانوا يحلمون بالزواج من ابنة المليونير الكبير. فهم يريدون تحقيق طموحاتهم في الحياة دون تعب، بل عن طريق المصاهرة من ثروة جاهزة. اما نيكولاس فهو مختلف، ولعله حقق ما يريد من خلال مزرعته التي يبدو أن أعمالها ناجحة. وحاولت كيلي أن تقنع نفسها أن غاري، مثل نيكولاس، غير مهتم بثروتها الطائلة. ألم يؤكد لها هذا الأمر مراراً من قبل؟ ألم يتصرف معها على ذلك الأساس؟ لكن الشيء الذي يختلفان فيه هو انها لم تشعر أبداً بالاحترام لغاري... في حين ان نيكولاس فرض عليها احترامه بالقوة.

وتحت المياه الدافئة المنعشة راحت كيلي تفكر: هل أحب نيكولاس امرأة ما في حياته؟ هل وجدت المرأة التي استطاعت أن تخترق جدار مشاعره القاسية؟ ربما هي سيرينا دي باغر؟ انها جميلة فعلا، بالرغم من بعض البرود في طبعها.

وعندما تتزوج سيرينا نيكولاس، هل ستتعرض على يديه للقسوة التي عرفتها هي خلال اليومين الماضيين؟ أم انه سيحبها ويقدرها ويكون الصدر الرحب الذي ترتاح اليه اذا ما تعرضت للمصاعب؟

ان نيكولاس قوي وجذاب. هذه حقيقة لم تستطع كيلي التهرب منها رغم كرهها له. وأية امرأة تفوز به، ستعيش في نعيم من الحب والحنان والأمان. ويبدو حتى الآن أن سيرينا هي تلك المرأة. لكن، لماذا تتكرر هذه الطعنة في صدر كيلي كلما تذكرت سيرينا؟ هل هي الغيرة؟ من المستحيل ان تغار منها... وهي لا تحب نيكولاس!

أسرعت كيلي تنهي حمامها، وتنشف جسمها بقسوة وكأنها تردد في نفسها ان الأمر غير معقول، فهي لا تحب نيكولاس ولن تحبه أبداً.

وقبل أن تغادر الحمام تعمدت أن تلقي نظرة أخيرة على نفسها في المرآة، وتضع بعض الظلال الخفيفة من الماكياج. ثم شدت الحزام على خصرها... مطمئنة الى انها، هي ايضا، جميلة وفاتنة وتفيض أنوثة.

كان نيكولاس ينتظرها في الحديقة. وعندما خرجت من الباب شاهدته قرب جدول الماء، مديراً ظهره الى الكوخ بحيث لم يشعر بوجودها. ظلت واقفة هناك للحظات تطيل التحديق في القامة الممشوقة أمامها. لكن نيكولاس استدار بسرعة، وسار نحوها وهو يتفحص بدقة كل تفاصيل ملابسها ووجهها وجمالها. وعندما وصل اليها، سألته بدلال:

ـ هل اجتزت فحصك الدقيق؟

ضحك بهدوء قائلا:

ـ طبعاً فأنت امرأة جذابة جداً.

وأفلت منها الكلام دون ارادة:

ـ هل تعتقد ذلك حقاً؟

ـ اذا أردت اثباتاً لذلك، فسأفعل فيما بعد. (ثم قال بلطف غير معهود) خذي معك كنزة يا كيلي، فالصباح بارد في هذه المناطق.

سارا معاً الى الفندق، وكيلي لم ترفع عينيها عن الأرض. ترى لماذا شعرت بارتفاع في معنوياتها للملاحظة اللطيفة التي أبداها قبل قليل؟ انها غير معنية بالجواب، المهم الآن انها مرتاحة ومسرورة... وخائفة في الوقت نفسه. اذ من الغريب ان تستطيع كلمات قليلة من نيكولاس أن تقلب مزاجها رأساً على عقب. والمهم من كل هذا ان لا يعرف هذا الرجل القاسي حقيقة ما تشعر به وهو معها!

كانت الحياة قد بدأت تدب في الفندق عندما وصلا اليه، خاصة في المطبخ حيث تجري الاستعدادات لتقديم طعام الافطار. وعلى المدخل التقيا بخادم يحمل عدة فناجين من القهوة باتجاه الأكواخ تلبية لطلبات الضيوف.

فتح نيكولاس باب المكتب وأضاء النور في داخله، ثم أبلغ كيلي ان موظف الاستقبال سيداوم عند الساعة التاسعة، وعليها هي أن تتولى المهمة حتى موعد مجيئه، خاصة ان بعض الزبائن يمكن أن يغادروا الفندق في أية لحظة الآن. وبعد أن شرح لها كافة التفاصيل الأخرى، تركها هناك وغادر الى أعماله.

وما هي الا لحظات حتى دفق الشغل عليها. ودون أن تدري وجدت نفسها تفكر بماري. فمما لا شك فيه أن تلك المرأة الرقيقة كانت تعمل فوق طاقة البشر، خاصة أنها في الأشهر الاخيرة من الحمل. ومن هنا يمكن فهم المشاكل الكثيرة التي سببها غياب جورج عن الفندق. وهذا التفكير نفسه، أعطى كيلي نوعاً من الارتياح... فهي تقدم لماري مساعدة لا يمكن لأي مبلغ مالي ان يفيها حقها.

عند الساعة التاسعة جاء موظف الاستقبال برفقة نيكولاس، الذي أخبرها أن باستطاعتها ترك المكتب والانضمام اليه لتناول طعام الافطار. وكانت على وشك مغادرة المكتب عندما رن جرس الهاتف.

فرد موظف الاستقبال ثم قال:

- الخط لك يا آنسة ستانويك.

ولعلع صوت غاري عالياً صاخباً:

- كيلي، ماذا يجري هناك بحق السماء؟ لقد قلقت عليك!

شعرت كيلي بالندم وهي تقول:

- غاري أنا آسفة... كان يجب أن أتصل بك.

- ولماذا ما زلت في الفندق؟

- انها قصة طويلة، (وترددت وهي تنظر الى نيكولاس الذي استند الى الباب ينتظرها، ثم أضافت) انني أساعدهم في الفندق!

صرخ بنفاد صبر:

- ماذا؟ لقد فهمت أنك ستعطين العائلة بعض المال وتعودين؟

- حسناً، هذا صحيح... لكن ماري اندرسون يجب أن تكون الى جانب جورج الذي سيجري عملية جراحية اليوم.

- وما هي علاقة ذلك ببقائك هناك؟

- انني أقوم بأعمالها في الفندق!

وازداد صراخ غاري بحيث سمعه كل من في المكتب:

- اسمعي جيداً يا كيلي... انك تجعلين من نفسك ضحية.

بدأت أعصاب كيلي تتوتر، وظهر هذا واضحاً من قبضة يدها التي تعصر السماعة، وقالت:

- نحن مسؤولون عمّا حدث يا غاري. ولولا وجودنا هنا، لما تعرّض جورج لذلك الحادث المؤسف.

- كان سيحدث في وقت آخر. انه مدير الفندق وصاحبه، أليس كذلك؟ ما كان يجدر بك العودة من الأساس يا كيلي... وانني استغرب كيف يجرؤ هؤلاء الأشخاص على تشغيلك بمثل هذه

السهولة.

وجاهدت كيلي كي تبقي صوتها منخفضاً وهادئاً... وحازماً في الوقت نفسه:

ـ هم لم يطلبوا ذلك. ومهما يكن، فان قراري صحيح مئة في المئة.

خيّم الصمت للحظات، ثم قال:

ـ ومتى ستعود ماري؟

ـ اليوم مساء على ما أعتقد.

ـ وعندها ستعودين فوراً الى دوربان؟

واستغربت كيلي كيف أن اجابتها جاءت باردة وغير متحمسة:

ـ طبعاً... طبعاً.

وفجأة تغيرت لهجة غاري الغاضبة لتحل محلها تلك النبرة المرافقة التي اعتادتها منه:

ـ انني مشتاق اليك يا حبيبتي.

وعضت كيلي شفتها وهي تشعر بالاحراج أمام نيكولاس:

ـ وأنا أيضاً يا عزيزي.

ـ اذن عجلي في العودة. فهناك حفلة كبيرة ستقام يوم السبت، ولا يمكنك تفويتها أبداً.

ـ سأكون هناك... وداعاً يا غاري.

وضعت سماعة الهاتف بيد مرتجفة، ثم أدارت وجهها ناحية النافذة بعيداً عن نيكولاس الذي لم يبعد نظره عنها طيلة المكالمة. وبعد أن استردت هدوءها قالت:

ـ هيا بنا الآن.

وعندما أصبحا في الخارج، استدارت الى نيكولاس وقالت

بعنف:

ـ هل فكرت لحظة انني أرغب في الانفراد خلال حديثي الهاتفي؟

أجابها بلا مبالاة:

ـ طبعاً فكرت!

ـ اذن لماذا لم تفعل الشيء الصواب، وتركتني وحدي؟

ـ وجدت الحوار مهماً جداً... فبقيت.

ولم تستغرب كيلي ردّه. فكل ما قاله وفعله حتى الآن كان المقصود منه اهانتها واذلالها. لذلك قالت بمرارة:

ـ لا شك أنك استمتعت به جيداً؟

علّق بابتسامة ساخرة:

ـ الى أبعد الحدود... فقد كان حواراً كاشفاً لأشياء كثيرة.

أي انسان آخر غير نيكولاس كان سيعتذر عما حدث. لكن هذا الشخص لا يشعر بأي ندم. ولذلك لا فائدة من متابعة الحديث مع صخر أصم لا يتأثر بشيء.

وعندما وصلا الى صالة الطعام، توقفت قائلة:

ـ لا أظن انني راغبة في تناول الافطار.

قال نيكولاس وكأنه يستمتع بالموقف كله:

ـ أظن انك ستأكلين.

ـ لا. سأراك في المكتب بعد الأكل.

ـ حقاً؟

ثم وضع يده على ذراعها بغتة، وجرّها أمامه بلطف، فالتفتت اليه هامسة:

ـ نيكولاس...

قاطعها مبتسماً:

- طعام الافطار يا كيلي.
- انني... انني لست جائعة فعلاً.
تابع كلامه بصوت آمر لا يعرف المساومة:
- مع ذلك ستأكلين. هناك عمل كثير، ولن تستطيعي الصمود حتى آخر النهار اذا لم تأكلي شيئاً الآن.
همست بحدة:
- الا تفهم؟ انني أرفض أن أتناول الطعام معك!
تصلبت عضلات وجهه وهو يقول:
- اتركي هذه الانفعالات لخطيبك، فهي لا تؤثر بي أبداً. والآن هيا الى الطاولة فالخدم لن ينتظروا الى ما لا نهاية.
سألته بمرارة:
- هل تحصل دائماً على ما تريد بهذا الاسلوب الشرس؟
ابتسم بسخرية وقال:
- بعض الأحيان.
ولم تدر ما الذي دفعها الى طرح السؤال التالي عليه:
- وهل تستعمل أساليب رجل الكهف مع سيرينا دي ياغو؟
ابتسم بهدوء وهو يحدق فيها:
- سيرينا! لست مضطراً لاستعمال هذا الاسلوب معها.
واضطرت كيلي للصمت بعد هذا السؤال. فهي لا تريد أن تفضح مشاعرها أمام هذا الرجل القاسي. لكن نيكولاس تابع مبتسماً:
- أنت تغارين منها؟
ردّت عليه بعنف متعمد:

- أغار! يا الهي، أنت لست الرجل الأقسى الذي قابلته في حياتي فقط، بل الأكثرهم خداعاً أيضاً. (وضحكت بصوت مرتفع قبل ان تضيف والغصة تكاد تخنقها) يمكن لسيرينا أن تأخذك... فلست ارغب فيك حتى لو كنت آخر رجل في هذا الكون!
أطال نيكولاس التحديق في عينيها مباشرة، دون ان تغيب عن شفتيه تلك الابتسامة الساخرة، ثم قال:
- هل تقولين الحق؟ (ثم أضاف بقسوة) أتعرفين ما أنت بحاجة اليه يا كيلي؟
ولم تستطع كيلي أن تواجه نظراته الحادة لمدة طويلة، فعمدت الى مشاغلة نفسها بالعبث بالسكين الموضوعة على الطاولة أمامها. كيف يجرؤ هذا الرجل على انتهاز كل الفرص لاذلالها؟ كيف يجرؤ على التهجم عليها وعلى خطيبها بهذا الشكل؟
وأخيراً استجمعت شجاعتها لتقول:
- طبعاً أنا أعرف ماذا أريد. أريد أن اترك هذا الفندق وأنضم الى خطيبي. وأكثر من ذلك، أريد التأكد من انني لن أراك بعد ذلك أبداً... أبداً. (ثم أضافت بصوت متهدج) انني انتظر بفارغ الصبر عودة ماري من المستشفى!
وعلى نقيض ما توقعت، رأته يضحك بصوت مرتفع وقد انفرجت شفتاه عن أسنان ناصعة البياض. انها تكره هذا الرجل بشكل لا يوصف. فالمشاعر التي يثيرها فيها لا يمكن ان تكون الا الكره العظيم... أو الحب الكبير، وهي تعرف انها لا يمكن أن تحبه.
ومرت الدقائق وهما يتناولان الطعام بصمت متوتر، كانت كيلي خلالها تفكر بأسئلتها حول سيرينا وأجوبته لها. لقد اتهمها بالغيرة من

سيرينا، لكنها نفت بشدة. ومع ذلك فهي تعرف ان هناك شيئاً من الصحة في اتهامه. آه لو يبقى تعاملها معه على أساس التعاون في الفندق فقط، لربما استطاعت ان تمضي بقية هذا اليوم على خير ريثما تعود ماري... وترجع هي الى دوريان لتنسى كل ما حدث لها هنا.

كانا على وشك الانتهاء من الطعام، عندما جاء رئيس الخدم يسألها عن حاجة ما. كان يريد ان يعرف طريقة ترتيب الطاولات استعداداً لحفل غداء يقيمه المؤتمر غداً. ولم تكن كيلي لتهتم بالحديث الدائر بين الرجلين باعتبار انها ستكون غداً بعيدة مئات الأميال عن الفندق ومشاغله.

غير انها لم تستطع أن تتجاهل قدرة نيكولاس على التعامل مع المسألة. فعلى الرغم من أنه مزارع في الأصل وموجود في الفندق للمساعدة في وقت الحاجة فقط، الا ان الحلول التي قدمها تظهر كم هو قادر على التعاطي مع مختلف الظروف والسيطرة عليها.

وانتبهت كيلي الى انها اكتشفت الآن جانباً آخر من شخصية نيكولاس. فهو معها ساخر، ارعن، مغرور. ومع ماري لطيف ومتفهم. أما مع كبير الخدم، فهو حازم ومدرك وذو سلطة مؤثرة. واستغربت كيف ان هذا الاكتشاف جعلها تشعر بسعادة غامضة لم تعرف لها معنى.

وتساءلت في سرها: هل هو قاس معها فقط؟ لقد رفضت ماري الاعتقاد بقسوته ورعونته. في حين ان سيرينا تعامله برقة ومحبة واحترام... ومرة أخرى أحست بتلك الطعنة التي لا تعرف الرحمة. فأزاحت طاولتها ونهضت واقفة وهي تقول:

ـ انني ذاهبة لتغيير أغطية الأسرة.

ودون أن تنتظر منه جواباً، سارت باتجاه الباب غير عابئة بنظرات نيكولاس المندهشة!

٦- مشاعر متضاربة

أمضت كيلي الساعتين التاليتين منهمكة في ترتيب الغرف وتغيير المناشف وأغطية الأسرة والوسائد. وبين الحين والآخر تقديم خدمات عاجلة لبعض الضيوف. وشيئاً فشيئاً، أخذ تقديرها لماري يزداد، بقدر ما ازداد انشغالها في أمور الفندق المتنوعة والكثيرة. فتلك المرأة، حتى في شهور الحمل الأخيرة، استطاعت ان تدير الأمور بتنظيم تحسد عليه.

أحست كيلي بعد الانتهاء من تغيير اغطية الأسرة بتعب كبير في ظهرها نظراً لكثرة انحنائها. لذلك قررت الخروج الى الحديقة علّها ترتاح قليلاً قبل استئناف العمل. كان الهدوء مخيماً في الخارج بعد أن توجه جميع النزلاء الى اعمالهم ورحلاتهم. والأهم أن نيكولاس لم

يكن هناك لينغص عليها حياتها كالمعتاد. وهذا يعني أن باستطاعتها الارتياح حتى الظهر، موعد الاشراف على تقديم الغداء.

لم يمض على جلوسها تحت الاشجار أكثر من عشرين دقيقة، حتى تناهت الى سمعها أصوات رجال يتضاحكون ويتناقشون، والتفتت لترى ان المهندسين المؤتمرين قرروا رفع مؤتمرهم لدقائق معدودة بهدف الراحة من عناء المناقشات والأبحاث العويصة.

وفجأة اقترب منها اندرو لانغ قائلاً:

- كيلي، هل أستطيع الانضمام إليك؟

- تفضل...

سألها وهو ينادي أحد الخدم:

- ماذا تشربين؟

- شيء بارد جداً!

نظر إليها ملياً وقال:

- يظهر أنك كنت تشتغلين بنشاط؟

- الحقيقة انني مشغولة جداً.

- لقد بحثت عنك في غرفة الطعام حوالى السابعة والنصف.

رفعت كيلي وجهها الى الشمس وهي تشعر بالهدوء والراحة:

- كنت في المكتب... لقد استيقظت في الساعة السادسة صباحاً.

علق بصوت قاس:

- يبدو أن السيد فان ميجدين يحاول أن يرهقك تعويضاً عن الحادث... بل يبدو أنه مستمتع بتعبك وعنائك!

واستغربت كيلي كيف أسرعت تدافع عن نيكولاس بشكل غير مباشر:

- انني فقط أقوم بالمهمات التي تقوم بها ماري عادة.
- ربما، لكنني أعتقد أن فان ميجلدين يجد سروراً في القسوة عليك.

وانتبهت كيلي إلى أن لهجة اندرو اصبحت أكثر حدة، فاستدارت نحوه لترى شفتيه مزمومتين غضباً وعضلات وجهه متقلصة من التوتر... مما أشعرها بالارتياح لأن هناك من يهتم بها في هذا الفندق. ومرة أخرى تجد نفسها تقارن بين اندرو وغاري. فهذا الرجل هادىء الطباع على نقيض المراهقة الدائمة لخطيبها التي راقت لها في مرحلة ما. لكن تلك المرحلة كانت محكومة بمرض أمها، حيث اضطرت الى لعب دور سيدة البيت لعشرات من رجال الاعمال الذين يتوافدون على منزلهم العائلي... وعندها دخل غاري الى حياتها دون أن تهتم كثيراً ببعض جوانب شخصيته.

ولكن ماذا عن اندرو مقارنة بنيكولاس؟ الرجلان يبدوان في العمر نفسه تقريباً، كما أنهما صاحبا شخصيتين قويتين، وناجحان تماماً كل في حقله. غير أن اندرو لا يملك شيئاً من رجولة نيكولاس وقوته وجاذبيته. ويضاف الى ذلك أن السحر الذي تشعر به كيلي مع ذلك المزارع القاسي لا يوجد أبداً مع المهندس الأنيق الناجح.

لماذا هذا الاصرار على المقارنة؟ ومن أين يأتي هذا الصوت غير المعقول الذي يؤكد لها أن نيكولاس افضل بكثير من اندرو... رغم أنها تريد أن تقنع نفسها بالعكس؟

ولم ينقذها من تساؤلاتها وحيرتها الا مجيء الخادم بالمرطبات التي طلباها. من الضروري الا تترك لأفكارها أن تجرفها في متاهات خطيرة لن تؤدي الا الى المصاعب. فحتى لو كانت فعلاً منجذبة ناحية نيكولاس، فليس هناك أي أمل يرجى. فهي مخطوبة لرجل آخر

وتخطط للزواج منه. ومن ناحية أخرى، فان نيكولاس لم يخف احتقاره لها وعدم اهتمامه بها... حتى لو كانت هي مهتمة به.

ورشفت كيلي جرعة كبيرة من شرابها، ثم قالت:

- حدثني عن بعض الأمكنة التي زرتها خلال أعمالك!

بدا اندرو مسروراً، وهو يتساءل:

- هل يهمك الأمر حقاً؟

ردت بحماس حقيقي:

- طبعاً... طبعاً. أنا شخصياً سافرت كثيراً، لكن مع أهلي في معظم الأحيان.

حدثها طويلاً عن رحلاته واسفاره، وأخيراً عن وسط افريقيا حيث عمل لأطول مدة. وظلت كيلي جالسة تستمع بتمعن واهتمام... الى ان توقف للحظات قبل أن يتابع:

- يا له من قدر غريب... أن يلتقي الانسان بفتاة احلامه ليجد أنها مخطوبة أو متزوجة!

حبست كيلي انفاسها لوقع هذه المفاجأة. وحتى لو كان اندرو لم يقصد بكلماته ما فهمته هي، فان عينيه فضحتا مشاعره الحقيقية. وظلت للحظات عاجزة عن الرد. اذ ماذا يمكن أن تقول لشاب ترى فيه صفات افضل من صفات خطيبها. وأخيراً قالت:

- القدر غريب حقاً (ثم عمدت الى تغيير الموضوع فسألته) هل المؤتمر على ما يرام؟

تردد بدوره قبل ان يجيب:

- ممتاز جداً.
- وكم سيستغرق من الوقت؟
- حوالى أسبوع، فهناك الكثير من التطورات في هذا الحقل

وسرت كيلي لأن اندرو استطاع أن يتجاوز الاحراج الذي ولدته عبارته تلك، وتابعت تقول:

- هل تزور هذا الفندق كثيراً؟

حول اندرو عينيه الى الجبال الشاهقة قائلاً:

- انها المرة الأولى. هذه المنطقة رائعة الجمال، أليس كذلك؟ وذلك يضفي على المؤتمر طابعاً حيوياً أكثر (ثم استدار ناحيتها فجأة وقال) أنا آسف لما قلت قبل قليل يا كيلي. فأنا أعرف انك مخطوبة، لكن هل عندك مانع في التنزه سوياً عندما يكون الوقت مناسباً؟

ردت بصدق وهدوء:

- انني أتمنى ذلك، غير ان ماري ستعود في وقت ما هذا اليوم، وعندها سأعود فوراً الى دوربان.

وفجأة اشتدت ملامح اندرو، وقال بحدة:

- ربما ليس من حقي أن أقول ما أود قوله، لكنني لا أفهم كيف استطاع خطيبك الموافقة على عودتك الى هنا وحيدة؟

أجابت كيلي وهي تحاول ان تبدو طبيعية قدر الإمكان كي لا تفضحها مشاعرها المتألمة لكونها مضطرة للدفاع عنه مرة أخرى:

- القصة سهلة للغاية.

ولم تفت كيلي علامات الاشمئزاز التي ظهرت على ملامح اندرو وهو يقول بتهكم:

- طبعاً... طبعاً. كان مشغولاً بأمور اهم في دوربان!

قالت بانزعاج:

- أرجوك يا اندرو، دعنا من هذا الموضوع الآن

أجابها وهو يهز رأسه باذعان:

- حسناً جداً. لا أستطيع التظاهر بأن غاري سلون يستحقك.

ومع ذلك فلن أعود الى سيرته أبداً.

ووجدت كيلي نفسها تمسك يده بحركة لاشعورية قائلة:

- انت لطيف جداً يا اندرو.

وقبل أن تدري، أمسك بيدها بحزم وهو يقول:

- لطيف؟ هذه الكلمة منك تجعلني أبدو مثل أبيك. انني أفضل اية صفة أخرى على هذه!

اعترضت بحرارة:

- ابداً، لم أقصد ذلك.

اشتدت قبضته على يدها وهو يقول:

- اثبتي لي صدق نيتك ورافقيني في نزهة الآن... أنا على أتم الاستعداد للغياب عن المؤتمر من اجلك.

ابتسمت بتردد:

- انني اتمنى النزهة فعلاً!

لكن صوتاً قاسياً جاء ليفسد عليهما خلوتهما:

- هل نسيت واجباتك يا آنسة ستانويك؟

واستدارت كيلي بعنف لتجد نيكولاس واقفاً خلفها وعيناه مسلطتان عليها بغضب. لكنها تمالكت وقالت:

- لقد انهيت واجباتي كلها.

أجابها بصوت بدا هادئاً:

- كلا لم تنتهي منها... وعليك أن ترافقيني فوراً.

- انني ذاهبة في نزهة مع السيد لانغ.

- اعتقد أنك لن تذهبي يا كيلي... فهيا بنا كي لا نتأخر على الفندق.

قفز اندرو من مقعده والدم يغلي في عروقه غضباً، وقال:

- هذا سخيف جداً. لقد كنت قاسياً مع الآنسة ستانويك منذ البداية.

ولم يتأثر نيكولاس بانفعال اندرو، بل أجاب بهدوء وهو يلتفت الى كيلي.

- من المشهد الذي رأيته قبل لحظات، يخيل اليّ أنك لم تتركي وقتك يذهب سدى!

قاطعه اندرو غاضباً:

- هذا ليس صحيحاً، فهي لم تشتك اطلاقاً. ومع ذلك فان الأمور واضحة ولا تحتاج لشرح... واعتقد أنك يجب أن تعرف مع من تتعامل في هذه المسألة!

رد نيكولاس بصوت لا يحمل اية مشاعر:

- طبعاً أعرف... وأخبرتك بذلك من قبل. انها كيلي ستانويك ابنة الثري روبرت ستانويك. (ثم اضاف بعد تردد) وبالنسبة الي يا سيد لانغ ان الثروة لا تصنع الناس، والغنى لا يعني لي شيئاً أكثر مما يعنيه لي الفقر.

قلبت كيلي نظرها بين الرجلين وهي تلاحظ حدة التوتر التي قد تفجر الموقف وتؤدي الى مواقف محرجة للغاية. فهذه ليست المرة الاولى... وربما لن يكون أي منهما قادراً على ضبط أعصابه اكثر. لذلك قالت:

- السيد فان ميجدين على حق... هناك أشياء كثيرة تنتظرنا في الفندق.

قال اندرو دون أن يرفع عينيه عن نيكولاس:

- هل ذلك لأن السيد فان ميجدين يحاول فرض الأمور عليك؟

اسرعت كيلي تقول:

- انا اريد أن أقوم بها تنفيذاً لوعد قطعته أمام ماري.

أجابها اندرو بهدوء:

- اذا كان هذا ما تريدين... فليكن.

ابتسمت بلطف:

- أجل... وسوف أراك قبل أن أرحل يا اندرو.

ارخى اندرو قبضتيه المشدودتين وقال وقد زالت مشاعر الغضب من نفسه:

- طبعاً (ثم التفت الى ناحية الفندق واضاف) يجب أن أذهب، فأنا أرى الآخرين يعودون الى قاعة المؤتمر.

وبعد أن قطع عدة خطوات باتجاه المبنى الرئيسي، التفت الى الوراء مقلباً نظره بين كيلي ونيكولاس، ثم قال لها:

- سأودعك في وقت لاحق... عندما تكونين وحيدة.

همست لنيكولاس بعد أن ابتعد اندرو:

- هل يشعرك هذا التصرف العدواني الأرعن بأنك أكبر من الناس الآخرين؟

- لست بحاجة الى صبيان كي أشعر بالتفوق عليهم يا كيلي.

واصرت على مواصلة النقاش علّها تجد طريقها لتخترق الدرع الصخري الذي يضعه حول نفسه، فقالت:

- أنت لا تتصور أن رجلاً حساساً ولطيفاً يمكن ان يكون مسروراً بصحبتي، أليس كذلك؟ فهذا لا يطابق الاسلوب الذي تراه مناسباً في معاملتي.

علق بتهكم مقصود:

- أنت تخادعين نفسك اذا ظننت في ذاتك القدرة على قراءة افكاري (ثم أضاف بحدة) لم يطل الوقت بحيث وجدت بديلاً

لغاري سلون... وسريعاً.

ردت عليه بهدوء لكن بحزم.

- لقد قلت لك أمس أن اندرو ليس بديلاً لغاري.

ضحك بصوت مجلجل وهو يقول:

- لكن طريقة تماسك الايدي بينكما تقول العكس. غير أني لا استغرب هذا أيضاً!

حدجته بنظرة نارية متسائلة:

- وماذا يعني كلامك هذا؟

- أنت من النوع الذي يجب تقريعه والتهجم عليه في كل لحظة، (ثم أضاف وهو يمعن التحديق في عينيها) أنت لا تحبين هذه المعاملة، أليس كذلك؟

أجابت:

- لأن المسألة كلها غير مناسبة.

علق بغضب:

- كلا؟ أدعاؤك البراءة يا كيلي لا يخدعني.

عضت على شفتيها بمرارة دون أن تتكلم. كل شيء ستقوله الآن يمكن أن يستعمل ضدها. فهذا الرجل لا يردعه شيء. وامام صمتها المطبق أضاف يقول:

- على الأقل، أنت لا تحاولين النفي الآن.

رفعت رأسها نحوه وقد أعادت السيطرة على أعصابها. ثم قالت:

- وحتى لو نفيت كل ما تقول، فانت لن تصدقني... اذن لماذا تعب الرأس من الأساس؟

وفوجئت كيلي به يغير الحديث قائلا:

- انني استغرب ما اذا كان اندرو لانغ يفهمك أكثر من غاري

سلون... فخلف هذه البرودة الظاهرة، هناك أنثى معقدة وطابع ناري.

وفي محاولة للهرب من هذا الموقف المحرج، قالت:

- لقد قلت قبل قليل أننا متأخران على الفندق. فهلا أخبرتني بما علي فعله الآن؟

أجابها بلا مبالاة:

- اجراء جولة تفتيشية على غرف النوم.

سألته بدهشة:

- غرف النوم؟ فهمت من ماري أن هناك وصيفات يتولين هذه المهمة.

- هذا صحيح، لكن من عادة ماري أن تتأكد بعد ذلك من ان الأمور على خير ما يرام.

وعندما وصلا الى الأكواخ الرئيسية، قالت له:

- أستطيع الآن تدبر الأمور بمفردي... فشكراً لك.

أجابها مبتسماً:

- لا شك عندي في ذلك، لكنني سأرافقك الى غرفة واحدة... وبعدها تتابعين الجولة على انفراد.

ردت عليه بسخرية:

- هذا ليس ضرورياً. فكوني ابنة مدللة لمليونير كبير أتاح لي فرصة زيارة عشرات الفنادق الضخمة، بحيث بت أعرف كيف يجب أن تبدو غرف النوم. واعتقد أن أعمال جورج الكثيرة تنتظر منك الانجاز أيضاً.

ظل نيكولاس واقفاً دون حراك للحظات، ثم قال:

- حسناً. لكن عليك الانتباه جيداً. فستكونين مسؤولة امامي

مباشرة عن أية شكوى يتقدم بها النزلاء.

أجابته بتحد ساخر:

- لن تكون هناك أية شكاوى.

وقبل أن يستدير عائداً قال:

- كوني في المطبخ الساعة الثانية عشرة تماماً.

ودون أن ينتظر منها جواباً استدار عائداً الى المكتب تاركاً كيلي لمهمتها الجديدة.

كانت كيلي ترتجف وهي تلقي نظرة متفحصة في ارجاء الغرفة الاولى. وافزعتها على الفور رؤية وجهها في المرآة، اذ ظهرت عليها علامات التوتر والضعف من جراء هذين اليومين الطويلين. لكن ابرز ما لفت نظرها عيناها الممتلئتان اثارة وحيوية. ومهما حاولت التجاهل، فانها تعلم تمام المعرفة ما هو الشعور الذي ولد في نفسها تلك الأحاسيس.

من غير المعقول أن تجد كيلي ستانويك، الفتاة التي يتمناها أي رجل، نفسها عالقة في شباك رجل فلاح لا يحبها.. ولا يخفي احتقاره لها. انها تدرك تماماً أن جاذبية نيكولاس أقوى من ان تقاوم، لكنها تقدم تنازلات كثيرة بحيث تفسح له المجال أكثر... مما يشكل خطراً عليها. ومن هنا ضرورة أن تمنع ذاكرتها من العودة إليه عندما تغادر هذا المكان كي تتزوج من غاري.

نظرت الى ساعتها وهي تتنهد. ساعات قليلة وتعود ماري. وحتى ذلك الحين عليها أن تتجنبه قدر المستطاع، وبعدها لن تفكر فيه أبداً. وعلى الرغم من أن الأمر سيكون صعباً في البداية، الاّ أنها ببعض الارادة القوية ستتمكن من نفيه نهائياً. ويكفي أن تلتقي بغاري حتى يصبح نيكولاس والفندق وكل هذه المنطقة في خبر كان.

استغرقت كيلي بعض الوقت في تفحص كامل الغرف، وما ان انتهت من جولتها حتى حان موعد الذهاب الى المطبخ للاشراف على وجبة الغداء. وبينما هي منهمكة وسط العاملين، لاحت منها نظرة عابرة نحو الباب، ففوجئت بنيكولاس واقفاً هناك يراقب حركاتها وغدواتها بشكل متفحص. ترى هل جاء عمداً كي يقف بنفسه على مجريات الأمور؟ مهما كان، فهي لن تدع وجوده يزعجها... لذلك انصرفت الى الحديث مع أحد الطباخين. وعندما التفتت بعد لحظات كان نيكولاس قد اختفى.

استطاعت كيلي بشكل ما أن تتجنّب تناول طعام الغداء معه. فبدلاً من الذهاب الى المطعم، طلبت من أحد الخدم ان يحضر لها طعامها الى الكوخ. واكدت لنفسها بسرور وهي تأكل منفردة: فليفسر كما يريد!

انتهت وجبة الغداء، ولم يعد أمام كيلي أي شيء ملح للانجاز... فقط انتظار عودة ماري كي تغادر هذه القرية الى الأبد. بعد ساعتين تقريباً عليها التوجه الى الشرفة للاشراف على تقديم الشاي، أما الآن فوقتها ملكها... اللهم الاّ اذا جاء نيكولاس يدعوها الى عمل ما غير متوقع.

كانت ترغب في الاستلقاء والنوم تعويضاً عن الاستيقاظ المبكر، لكنها لم تفعل. وبعد دقائق من التجول دون هدى في الكوخ، جاءتها فكرة أن تعمل في الحديقة لتقليم بعض الزهور والاغصان. ودون تردد توجهت الى الفندق، وعادت بقفازين وقفص وسكينة حادة. فالزهور المنتشرة حول بركة السباحة بحاجة الى تقليم وتنسيق، وبما أن هواية أمها الاعتناء بالزهور وترتيبها... فهي لن تجد صعوبة في انجاز هذه المهمة. الهدوء يعم الحديقة في مثل هذا الوقت من النهار.

فالشمس حادة جداً، لا يلطفها الا بعض النسيم المنعش الذي يهب بين الحين والآخر. وقد شعرت كيلي بالسكينة تهبط على نفسها لعدم وجود أحد يزعج هذه اللحظات الهادئة مع الطبيعة. فالجبال المتناثرة والسهول الممتدة حتى الافق تجعل المرء يطلق العنان لنفسه متخلصاً من كل هموم الحياة اليومية.

واتجهت افكار كيلي الى ماري وزوجها. فمما لا شك فيه أن مصاعب هذين الزوجين كبيرة للغاية. لكن العيش مع هذه الطبيعة الساحرة لا بد أن يعطيهما راحة البال والقدرة على المواجهة والصبر.

... وطبعاً نيكولاس يعيش في هذه المنطقة أيضاً. ففي مكان ما، غير بعيد من هنا، تقع مزرعته وبيته. وحتى الآن لم تستطع كيلي أن تعرف شيئاً عنها، اذ ان التوتر الدائم بينهما جعل من الصعب قيام حوار طبيعي لتبادل المعلومات. وفكرت أنها قد تغادر الفندق دون أن تراها أبداً. والغريب أن افكارها تعود دائماً الى ذلك المزارع القاسي بالرغم من كل التعهدات التي قطعتها على نفسها بالا تتركه يحتل ذهنها على هذا الشكل.

وعندما حانت منها التفاتة الى ساعة يدها، اكتشفت لدهشتها أن موعد تقديم الشاي قد حان. لم تكن تدرك أنها امضت وقتاً طويلاً في الحديقة غارقة في افكارها وتأملاتها. على كل، هناك دقائق معدودة امامها لكي تغسل يديها وتسرع الى الشرفة التي لا بد أن تكون مكتظة بالزبائن الآن.

كثيرون هم الضيوف الذين يعبرون عن شكرهم بعبارات لطيفة عندما تقدم كيلي لهم الشاي. بالأمس كانت مجرد غريبة طارئة، أما الآن فقد اعتادوا على وجودها وخدماتها. وهذا الأمر أشعرها بالفرحة الغامرة، باستثناء نيكولاس واندرو فان أياً من الضيوف لا يعرف

هويتها الحقيقية... وبالتالي لا يتعامل معها من خلفيات مسبقة.

تناول اندرو فنجانه بابتسامة لطيفة. وعلى الرغم من توقع كيلي أن يدعوها الى الجلوس معه، الا أنه لم يفعل. وتبين لها أن المؤتمر انما فض اعماله لدقائق معدودة يعود بعدها الى الأبحاث والمناقشات والمشاريع.

سألها اندرو:

ـ ألم تعد ماري بعد؟

نظرت كيلي الى ساعة يدها، وتنهدت قائلة:

ـ كلا.

ـ لا أظن أنك سترحلين دون ابلاغي مسبقاً؟

ـ طبعاً لا.

وعندما انتهت من خدمة جميع الضيوف، سكبت كيلي فنجاناً لنفسها وجلست الى طاولة منزوية وهي تشعر بالضياع. لقد عاد اندرو الى المؤتمر، وليس بين كل هؤلاء الناس من تعرفه تمام المعرفة كي تنضم إليه. ولكن فجأة، جاءها صوت باتت تعرف نبرته حق المعرفة:

ـ ماري ستكون مسرورة لقيامك بتقليم الزهور.

استدارت كيلي ببطء شديد وقالت:

ـ اتمنى ذلك.

ـ اعتقد أنك غسلت ذراعك؟

للوهلة الأولى لم تفهم كيلي معنى سؤاله، لكنها استنفرت قواها كي تواجه سخريته المتوقعة:

ـ لا تقل لي ان هناك بقعة من الوحل لم انتبه إليها؟

ولم يكن هناك أي اثر للسخرية في صوته عندما قال:

- لا وحل، لكنك جرحت ذراعك.

التفتت كيلي الى أعلى ذراعها، فشاهدت جرحاً طفيفاً يظهر انه نتج عن الشوك في الازهار التي قلمتها. ابتسمت قائلة:

- انه غير مهم.

- لدى ماري بعض المطهرات، والأفضل أن ترافقيني الى الكوخ.

استغربت كيلي أن يهتم نيكولاس الى هذا الحد بالجرح الطفيف، وفكرت انه يخطط لامر ما في نفسه، لذلك قالت بهدوء:

- لا داعي لكل هذا!

رفع نيكولاس حاجبيه بدهشة وقال بحدة:

- لا داعي؟ ان ماري ترش زهورها بالمبيدات. أما اذا كنت تفضلين التسمم على الثقة بي... فهذا شأنك الخاص!

ردت كيلي دون أن تدري سبباً يجعلها تطلق هذه العبارة:

- ان اهتمامك بي أمر ملفت للنظر!

ضحك بسخرية:

- اهتمامي بك يقف عند حد التأكد من عدم اصابتك بالتهاب في الذراع، بحيث اضطر الى أخذك الى المستشفى ورعاية الفندق وحيداً!

عضت كيلي على شفتها لتكبت موجات الغضب في صدرها قائلة:

- وفر اهتمامك وعنايتك لغيري. ماري ستعود بعد قليل، وعندها لن تظل مسؤولا عني أو عن الفندق.

وفوجئت بأنه لم يرد على ملاحظتها بشأن عودة ماري، فتساءلت بلهفة:

- ماري ستعود بعد الظهر، أليس كذلك؟

اجابها بحدة:

- هيا بنا يا كيلي.

كانت كلماته بلهجة آمرة، وقد تعودت كيلي ألاّ تعاند متى وصلت الأمور الى هذا الحد. سارت الى جانبه وهي تفكر بماري. هل من المعقول أن تتأخر؟ وما هي الأسباب الداعية لذلك؟

٧- القلب المعذب

في الكوخ، كان نيكولاس يعرف مكان كل شيء وكأنه أحد أفراد الأسرة. وأول ما فعل، الاتيان بالمطهرات لتنظيف الجرح قبل تضميده. يده الخبيرة عرفت كيف تلمس مشاعر كيلي التي اضطرت الى اغماض عينيها كي لا يقرأ فيهما أحاسيسها المتدفقة.

سألها:

- هل تؤلمك الى هذا الحد؟

هزت رأسها دون أن تنظر الى وجهه مباشرة:

- نعم.

أنهى مهمته البسيطة، ثم نظر اليها بتمعن وقال:

- يا لك من مزيج غريب عجيب يا كيلي!

سألته بصعوبة واحراج:

- ماذا تقصد بذلك؟

- مدللة ومعقدة تجاه العالم، وطفلة غريرة في أعماق نفسك.

ابتعدت عنه في محاولة لاخفاء اضطرابها وقالت:

- لست أدري ما معنى كلامك هذا. اذا كنت تقصد العمل في الفندق، فأنا لست ماري... لكنني بذلت أقصى ما أستطيع.

أجابها بصوت هادىء:

- لست أتكلم عن ماري او عن العمل، وأنت تعرفين ذلك تماماً... ومع ذلك لا أنكر انك قمت بواجباتك على أكمل وجه.

- ما كنت أظنك ستقول هذا الاطراء، (ثم قالت بعد صمت) نيكولاس... لم تجب على سؤالي في الفندق حول ماري، هل ستعود بعد الظهر أو لا؟

أجابها وعيناه لا تحيدان عن وجهها:

- لا.

شحب وجه كيلي وهي تقول:

- لكننا اتفقنا على ذلك.

- لم تستطع الوفاء بوعدها، وستعود غداً صباحاً.

اعترضت بحدة قائلة:

- لا... لن أبقى هنا هذه الليلة.

أجابها بلا مبالاة:

- ليس هناك اي مجال آخر.

- وهل ستنام في الكوخ الليلة ايضاً؟

ابتسم ساخراً:

- يا عزيزتي كيلي... يا له من سؤال غير ضروري.

حدقت فيه بصمت لثوان قليلة. لا شك أنه يستمتع بهذا الموقف الحرج، لكنها يجب ألا تتركه لغروره. قالت:

ـ اذا كان الفندق محجوزاً بالكامل، فيمكنك أن تنام في مزرعتك.

ـ انت تعرفين الاجابة على هذا الاقتراح أيضاً.

قالت وقد نفد صبرها:

ـ أنت لا تفهم الوضع يا نيكولاس... فأنا لا أريد أن أمضي ليلة أخرى في الكوخ معك.

أجابها بلا مبالاة متعمدة:

ـ انني لا أفهم... فلو كنت صادقة مع نفسك يا كيلي لاعترفت بأنك تريدين البقاء معي.

فغرت كيلي فمها دهشة وغضباً وهي تحملق فيه بعينين واسعتين. ولم تستطع أن تطلق من صدرها العبارات المختنقة فيه، باستثناء صرخة واحدة:

ـ لا...

ثم اندفعت أمامه قاصدة الباب في محاولة للهرب منه ومن الحقيقة التي لا يمكن أن تعترف بها ابداً. لكنه امسك بها فجأة، وضمها الى صدره في عناق قاس طويل. وعندما استطاعت الافلات من ذراعيه، قالت برجاء:

ـ أرجوك يا نيكولاس... دعني وشأني.

اجابها بصوت متهدج:

ـ انت تريدينني كما أريدك يا كيلي.

ولكنها تذكرت انها مع عدوها، عدوها الذي يحتقرها ويذلها... والذي يجب ألا تشعر نحوه بأي شيء. وعندما انتفضت من ذراعيه

هاربة الى الخارج لم يحاول أن يقف في سبيلها أو يمنعها... بل ظل في مكانه غائصاً في بحر من العواطف والأحاسيس.

لم يسع نيكولاس الى لقائها طيلة بعد الظهر، وبما ان لائحة ماري لا تنص على شيء محدد للعمل، فقد وجدت كيلي نفسها وحيدة في ذلك الفندق الواسع. لو أن اندرو كان موجوداً، لطلبت منه ان يرافقها في نزهة طويلة... طويلة. لكنه مشغول في المؤتمر، وهي لا تريد أن تظل وحيدة كي لا تعود افكارها الى... نيكولاس نفسه.

سواء قبلت أو رفضت، فهي مضطرة للتفكير فيه ان عاجلاً أو آجلاً، خاصة في المشاعر التي فجرها فيها خلال هذين اليومين. لكن يجب الا تفعل قبل أن تغادر الفندق، فمن المؤكد انها سترتكب خطأً فادحاً لو تركت العنان لعواطفها وهي وحيدة معه في هذا الفندق.

والسبيل الوحيد لعدم التفكير فيه هو الانهماك في العمل... أي عمل. ففي مثل هذا الفندق من الممكن دائماً ايجاد شيء بحاجة الى ترتيب او اعداد. ومع أن ماري وجورج جهدا للمحافظة على المظهر العام للفندق، الا انهما أبقيا الكثير الكثير بانتظار توفر المال الكافي في المستقبل غير المنظور.

كانت كيلي تنهي تلميع عدد من الزهريات الفخارية، عندما نظرت الى ساعة يدها لتكتشف أن الوقت قد حان للذهاب الى المطبخ للاشراف على وجبة العشاء. والغريب انها ظلت تأمل في عودة ماري بالرغم مما أكده لها نيكولاس قبل ساعات قليلة... وان كان أملاً ضئيلاً للغاية.

هذه المرة لم يأت نيكولاس الى المطبخ، مما أشعر كيلي بالراحة

والطمأنينة. ولكن ما ان انتهى معظم الضيوف من تناول العشاء، حتى جاءها احد الخدم برسالة تقول ان الآنسة دي ياغر والسيد فان ميجدين يتناولان العشاء معاً ويسرهما ان تشاركهما الآنسة ستانويك السهرة. ترددت كيلي للحظات وهي تبحث عن عذر مقبول، لكنها عجزت... ومع ذلك ردّت الخادم ليعتذر عنها بالنيابة دون ابداء اية أسباب!

فكرت كيلي انهما سيكونان سعيدين لعدم حضورها، وأن دعوتهما ما هي الا مظهر اجتماعي مجرد. انها لا تستطيع ان تكون معهما، سيزينا الجميلة والحيوية تتبادل الضحكات والنظرات مع نيكولاس الذي يتصرف مع المرأة التي ستكون زوجته بلطف واضح وحنان بالغ. بينما العناد والاحتقار من نصيب المرأة التي مشكلتها انها ابنة الثري الكبير!

لا يمكن أبداً ان تشاركهما جلستهما الحميمة تلك... ومع ذلك فان الغيرة العمياء طعنتها مجدداً في أعماق صدرها وهي تفكر بالعشاء الثنائي على ضوء الشموع.

مرة اخرى، وجدت كيلي أشياء كثيرة تشغلها عن أفكارها. بعد تناول الطعام طرأت على ذهنها فكرة الخروج من الشرفة بحثاً عن الدرو، لكنها أبعدتها فوراً لأن مزاجها لم يكن في وارد قضاء السهرة مع المهندس الشاب. فهي ستكون مضطرة الى التصنع في أحاديثها وحركاتها. بينما مشاعرها مرتبطة بطاولة مضاءة بالشموع داخل المطعم.

عند الساعة العاشرة ليلاً، أنهت كيلي ترتيب خزانة المناشف وهي تشعر بالارهاق الشديد. انها المرة الأولى في حياتها التي تعمل فيها من السادسة صباحاً وحتى ساعة متأخرة من الليل دون راحة على

الاطلاق.

سارت بهدوء في ظلمة الليل متوجهة الى الكوخ الغارق في العتمة والسكينة. وعندما وصلت الى غرفة النوم، خلعت حذاءها واستلقت على السرير كي ترتاح للحظات قبل تغيير ملابسها استعداداً للنوم.

فتحت كيلي عينيها على صوت خفيف، ثم ملأت رائحة القهوة المنعشة أنفها. كان الضوء ساطعاً في الغرفة... فتذكرت على الفور انها استلقت كي ترتاح قليلاً، ولا بد انها غطت في النوم دون اطفاء الأضواء.

وفجأة أدركت انها ليست وحدها في غرفة النوم، والتفتت لتجد نيكولاس بالقرب منها حاملاً فنجان القهوة... وهو ينظر اليها بتلك الابتسامة الماكرة التي تخفي الكثير من السخرية والتهكم.

لم ينبس نيكولاس ببنت شفة، لكن كيلي استرجعت بلحظات كل ما حدث لها منذ ليلة البارحة. فقد انبلج الفجر، وهذا يعني انها نامت الليل كله. لكن من الذي أدخلها الى الفراش، وألقى عليها الأغطية الدافئة؟

قالت بحدة:

- لم يكن من الضروري أن تقدم خدماتك غير المرغوب فيها!

اطلق ضحكة مجلجلة دون أن يجيب، فتابعت تقول:

- هيا اخرج من هنا يا نيكولاس، فأنا أريد بعض الخصوصية هذا الصباح.

خرج نيكولاس دون ابطاء، وتركها وحيدة في غرفة النوم. وحتى

بعد ان سمعت صوت اغلاق الباب الخارجي، لم تجد كيلي القدرة على الحركة.

كان شيء ما يطن في رأسها وأطرافها... شيء هو اكثر من التعب. كانت تشعر بالاحباط الى حد بعيد. ليس مهماً ان تتفائل معه، أو تحجز عن مد حديث ودي... بل المهم انها لا تستطيع كبت احساسها بالرغبة في البقاء معه لأطول فترة ممكنة.

سارت كيلي نحو الفندق وهي تفكر بموعد عودة ماري. انها لم تعد تحتمل البقاء في الفندق ولو حتى ساعة واحدة، والأمل الباقي أن تعود السيدة اندرسون بأسرع وقت ممكن. فجأة رفعت يدها لتتأمل خاتم الخطوبة. مضى يومان فقط على آخر مرة رأت فيها غاري، ومع ذلك فهو يبدو بعيداً جداً جداً. بل يخيل اليها ان الخطبة كلها غير موجودة، كما لو انها لم تعرف غاري في حياتها على الاطلاق. هذه الفكرة أزعجتها كثيراً، لكنها أكدت لنفسها باصرار ان غاري خطيبها وان نسيانه في هذه الظروف الصعبة امر مفهوم... ومقبول.

ان رغبتها في البقاء مع نيكولاس، هذه الرغبة المجنونة التي لم تستطع كبتها، لا تعني ان قيمة غاري قد انخفضت عندها. لكن هل كانت غير وفية له خلال اقامتها في الفندق؟ لا... نعم... اذن، ماذا تفسر شوقها ورغبتها تجاه رجل آخر؟ عندما تعود الى دوربان سوف تستأنف وغاري حياتها الطبيعية، وسوف تهبه الحب والحنان كما عهدهما منها من قبل، لعل في ذلك تعويضاً عن شطحات عواطفها في هذا المكان. انها لن تخبر غاري عما جرى لها في الفندق. فهذا سيؤدي الى تدمير كل فرصة أمامهما للعودة كما كانا.

هذه الخطة تأخذ بعين الاعتبار مشاعر غاري، لكن ماذا عن مشاعرها هي؟ فوجئت بهذا السؤال ولم تجد له جواباً. عليها ان تكون صادقة مع نفسها... هل ستكون قادرة على نسيان نيكولاس فان ميجدين والمشاعر التي فجرها فيها؟ هل ستتركها الرغبة المجنونة التي تسري في عروقها كلما شاهدته؟ أم ستظل ذكراه شبحاً بعينين حادتين وملامح قاسية يطاردها في حياتها؟ هتفت بيأس وقد أحاطتها الأسئلة، ارجوك يا ماري عودي بسرعة... والا فقدت آخر أمل لي!

وعادت ماري بعد الافطار بقليل. كانت شاحبة ومتوترة وقلقة على الرغم من ابتسامة الصداقة التي واجهت بها الجميع. قالت لكيلي ونيكولاس وهي تنضم اليهما على الشرفة ان اصابة جورج أخطر مما كان مقدراً لها من قبل. فقد أجريت له عملية جراحية، وتبين خلالها انه بحاجة لعملية اخرى. لكن الأطباء قرروا اجراءها في وقت لاحق ريثما يكون قد استرد بعضاً من قوته.

قالت مخاطبة كيلي كي تغير الحديث:

ـ لا استطيع التعبير عن شكري الكبير لك، ولا يمكنك تصوّر كم كان وجودك هنا مفيداً ومريحاً.

ردت كيلي بلطف:

ـ انا لا أجاريك في شيء... لكنني حاولت قدر المستطاع.

قالت ماري مبتسمة:

ـ فعلت أكثر من ذلك بكثير، ونيكولاس يؤكد انك كنت على قدر المسؤولية.

التفتت كيلي الى نيكولاس غير مصدقة، وقالت:

- نيكولاس قال هذا؟

كان نيكولاس جالساً بصمت وعلى شفتيه ملامح ابتسامة. ولأول مرة تلاحظ كيلي ان نظرة السخرية غير موجودة، وقد حلت مكانها نظرة لم تستطع لها تفسيراً.

واخيراً تكلم مخاطباً ماري:

- بعد أن تتناولي طعام العشاء، سانقلك مرة اخرى الى المدينة يا ماري.

- الى المدينة... لا، فالفندق بحاجة اليّ الآن.

- وجودك في المستشفى أهم... ويجب أن تكوني الى جانب جورج.

في هذه الأثناء كانت كيلي تكتفي بالاستماع، وقد توترت أعصابها الى حدّ بعيد. قالت ماري بتردد:

- اريد أن اكون مع جورج! لكن هذا غير معقول.

اجابها دون أن يلتفت الى المرأة الأخرى:

- حتى الآن كانت كيلي على قدر المسؤولية، ولا يوجد سبب يمكن أن يعيق أعمالها.

اكتفت كيلي بالاستماع الى الحديث الدائر بينهما. وخفقات قلبها تزداد اتساعاً. كانت عاجزة عن ابداء الرأي، مع انها المعنية اساساً بالمناقشة.

قالت ماري بنفاد صبر:

- اقتراحك غير معقول يا نيكولاس. انني اقدر ما قامت به كيلي حتى الآن... لقد كانت رائعة. لكنني لا استطيع تحميلها أكثر من ذلك.

اجابها بهدوء:

- وما المانع؟

- السبب... حسناً، ربما كانت لديها خطط خاصة!

- ابداً... كل مشاريعها يمكن أن تنتظر.

وقبل ان تجد كيلي الكلمات المناسبة للرد على هذه الوقاحة، تابع قائلاً:

- اما اذا أردت أن تقولي ان ابنة روبرت ستانويك يجب الاّ تحمل، فهذا رأي سخيف. (ثم اضاف بصوت قاس) وبالاضافة الى ذلك، فإن كيلي تتحمل جزءاً من مسؤولية المصيبة التي حلت بكما، انت وجورج.

اجابته ماري بحزم:

- هذا صحيح جزئياً. جورج رجل بالغ، ويعرف تمام المعرفة ما هو مقدم عليه... وكان باستطاعته ان يرفض كما وأن كيلي قامت حتى الآن بأكثر مما هو متوجب عليها.

واخيراً تحدثت كيلي مخاطبة ماري:

- أرجوك ان تنظري الى وجودي هنا كعربون صداقة معك..

استدارت ماري وهي لا تصدق اذنيها:

- هل تقصدين...

- ساظل هنا طالما انت بحاجة اليّ.

سألتها ماري باحراج:

- الا يمانع خطيبك؟

- غاري سيتفهم الظروف. (ثم رفعت عينيها ناحية نيكولاس، وأضافت بتحد واضح) مكانك الطبيعي الآن مع جورج.

- آه يا كيلي، لا يمكنك...

ولم تستطع ماري أن تواصل كلامها، وتركت لدموعها المنسكبة بهدوء مهمة التعبير عما تود قوله. لكن من الواضح انها تكاد تطير من الارتياح والسعادة.

أحست كيلي بغصة خانقة وهي تراقب ردة فعل ماري. ان هذا يؤكد عمق الحب الذي يجمع بين هذين الزوجين الشابين. الحب العميق الذي لم تعرفه في حياتها أبداً! ذلك ان علاقتها مع غاري تسير على نمط مختلف تماماً.

ورغماً عنها، تحوّلت نظرات كيلي الى الرجل الجالس قربها والذي كان يراقبها بتمعن وقد خلت ملامح وجهه من تعابير السخرية والتهكم وعادت ماري لتقول بعد أن تمالكت نفسها:

- لست أدري ماذا اقول... سوى ان اشكركما معاً لما تقومان به من اجلنا.

ثم التفتت الى نيكولاس وكأنها تذكرت شيئاً:

- على فكرة، عندما مررت في المكتب عرفت ان كل الغرف محجوزة... فهل تخليت عن غرفتك يا نيكولاس؟

رد بهدوء:

- ليس من عادتي أن ارد الضيوف خائبين.

- لكن هذا يتطلب منك العودة ليلاً الى المزرعة!

حبست كيلي أنفاسها وهي تنتظر ما سيكون عليه رد فعل ماري لدى معرفتها بأن نيكولاس يشاركها النوم في الكوخ. لكن الصوت القاسي رد قائلاً:

- لا تفكري في الأمر كثيراً، فعندك من الهموم ما يكفيك.

والتقت نظرات كيلي ونيكولاس في لحظات خاطفة... لحظات كشفت لها تعابير لم تفهم مغزاها، وان اشعرتها بخفقات غريبة في ذلك القلب المعذب!

٨- خطوبة متأرجحة

شعرت كيلي بالارتياح عندما غادر نيكولاس وماري الفندق الى المستشفى. فرأسها يضج بالافكار المتضاربة التي تريد أن تقلبها على الأوجه المختلفة بعيداً عن تأثيرات الآخرين.

كانت سعيدة كونها قادرة على مساعدة ماري وجورج في محنتهما الراهنة... ولكنها أيضاً سعيدة للبقاء في الفندق. وهذا الشعور بالسعادة يتناقض مع تلهفها السابق لعودة ماري كي تغادر هي الى دوربان وتبتعد نهائياً عن نيكولاس. واضطرت للاعتراف بينها وبين نفسها أن جزءاً كبيراً من تلك السعادة يتركز حول شخصية نيكولاس.

لم تكن لتكذب على نفسها وتنكر ان البقاء في الفندق يريحها. فكل

يوم تمضيه هنا يعني يوماً اضافياً مع نيكولاس. وهذا الصدق في الاعتراف يشعرها بالانشراح بقدر ما يشعرها بالألم. وليس من الممكن التعامي عن قدرة ذلك الفلاح القاسي على اثارة عواطفها بشكل لم يستطعه رجل من قبل.

انها تشعر بالانجذاب الشديد نحوه، انجذاب يجد جذوره العميقة في رجولته المتمثلة في كل ما يتعلق به. ترى هل يوجد شيء آخر غير الانجذاب يجمعها بنيكولاس؟ رفعت كيلي رأسها عن الخزانة التي كانت ترتبها، وأجابت نفسها بهدوء: لا، هذا مستحيل.

والى جانب كونها خطيبة رجل آخر، فان نيكولاس نفسه مرتبط بامرأة أخرى تعيش قريبة منه. بل يمكن القول أنه مخطوب لسيرينا في باغر.

ان مجرد التفكير بسيرينا يجعلها تشعر بالأسى والتوتر. هل أصبحت مجنونة، بحيث تترك لأيام قليلة من التلاعب العاطفي أن تؤدي بها الى اتخاذ قرار لم يأخذ بعين الاعتبار ارتباطات نيكولاس وأوضاعه الخاصة؟ فبقدر ما تعرف استحالة وجود مستقبل معه، تعرف أيضاً ان البقاء أكثر في الفندق يحمل في طياته احتمال تحطم مشاعرها الصاخبة. انها تحمل لنيكولاس عواطف لا يمكن تجاهلها أو نبذها... لكنه ليس بالحب العميق الجارف.

ومع ذلك، وبالرغم من اصرارها على تحديد علاقتها بنيكولاس في اطار الانجذاب البحت، الا أنها وصلت الى مرحلة مقارنة كل رجل تعرفه به. فقد فعلت هذا مع غاري واندرو حتى الآن. والاثنان خسرا المنافسة. ان كيلي لا تريد تمضية بقية حياتها في اجراء مقارنات بين الرجال، بل تريد السعادة الزوجية مع غاري، والبيت

صديق، والأطفال أيضاً

لكن قرارها بالبقاء في الفندق اليوم وضع مسألة زواجها من غاري في مهب الريح. انها كمن وقع في الفخ. لقد ذهب نيكولاس وماري منذ نصف ساعة الى المستشفى وليس بالامكان استدعاؤهما للتراجع عن البقاء. المشكلة ان الفخ من صنعها هي... اذ كان بامكانها الرفض، خاصة وأن ماري أكدت زوال الخطر عن جورج، لكنها لم تفعل.

سارت كيلي ناحية احدى الطاولات وانهمكت في ترتيب المناشف. عليها أن تتجنب نيكولاس، أو على الأقل جعل اجتماعاتها محدودة قدر المستطاع. فاذا كانت العواطف العمياء قد أوقعتها في الفخ، فان المنطق العاقل سوف يخفف مخاطر السقوط المريع.

كان النهار قد انتصف عندما لمحت كيلي سيارة نيكولاس البيضاء تتوقف أمام مدخل الفندق. وفور رؤيته توترت أعصابها بشدة، لكنها عادت وسيطرت على نفسها بجهد بالغ. فلقد اتخذت قرارها وعليها الالتزام به. وهكذا أسرعت الى المطبخ للاشراف على اعداد الطعام، متعمدة عدم النظر ناحية الباب كي لا تفاجأ به واقفاً هناك كعادته.

وراحت تفكر كيف يمكنها تجنب تناول الغداء معه. ولكن الأمور كانت أسهل مما توقعت. اذ يظهر أن نيكولاس كان مشغولاً بأمور تتعلق بالمزرعة، وعندما أبلغته كيلي بواسطة الخادم انها غير قادرة على مشاركته الغداء لم يعترض، بل انهى طعامه بسرعة وغادر الفندق متوجهاً الى المزرعة.

كان اندرو جالساً على الشرفة عندما أنهت كيلي طعامها.

تساءلت وهي تجلس الى طاولته ما اذا كان ينتظرها عمداً، أم ان الأمر حدث صدفة؟ وقد أبدى سروراً ممزوجاً بالاستغراب لقرارها البقاء في الفندق وقال:

- هل ضغط عليك فان ميجدين للبقاء؟

ابتسمت كيلي وقالت:

- نيكولاس؟ لا أبداً. جورج لم يتحسن بعد. وفي مثل هذه الظروف من الأفضل أن تبقى ماري الى جانبه.

ظل اندرو صامتاً للحظات وكأنه لا يصدق ما أخبرته به كيلي، لكنه قال أخيراً:

- لست متأسفاً لبقائك، بل أنا سعيد جداً. المؤتمر سينتهي غداً يا كيلي، لكني أستحق اجازة، وربما أمضيها هنا أيضاً!

كانت كيلي تحدق في الجبال البعيدة، غير أن دفء عبارات اندرو جعلها تلتفت ناحيته فتابع يقول:

- ما رأيك في ذلك يا كيلي؟

لم تستغرب هذا السؤال المليء بالعبارات والمعاني. فقد أظهر اندرو منذ البداية اعجابه بها، ومحاولاته التقرب منها. الا أنها ليست في وارد اضافة متاعب جديدة الى ما هي عليه الآن. فهناك غاري أولاً والخطوبة التي بدأت تشعر بالندم للاقدام عليها. ثم يأتي نيكولاس والانجذاب الذي فجره في نفسها، وأخيراً جاء اندرو الرجل الذي تحترمه وتعجب به... كصديق فقط. وكانت ترغب ان تطلب منه ألا يدمر هذه العلاقة الطيبة وهي بأمس الحاجة الى صديق.

لكنه سبقها متسائلاً:

- ماذا قلت يا كيلي؟

ردت بثبات:

ـ أظنها فكرة جيدة. فقد تعبت خلال المؤتمر، وليس أفضل من هذه المنطقة الساحرة للترويح عن النفس.

ازدحمت تعابير وجهه بمشاعر الاحباط وهو يستمع منها الى ذلك الجواب العام. لكنه سرعان ما سيطر على نفسه وعاد يبتسم بهدوء... غير أن كيلي شعرت بالأسف العميق لأنها جرحته من حيث لا تعلم.

وعندما أنهت كيلي شرابها، التفتت الى ساعة يدها، ثم نهضت واقفة:

ـ حان وقت العودة الى العمل. شكراً على دعوتك يا اندرو.

ـ هذا من دواعي سروري.

وكانت كيلي على وشك أن تغيب عنه، عندما قال فجأة:

ـ عليك بالاحتراز من فان ميجدين.

انقطعت انفاس كيلي دهشة وصرخت قائلة:

ـ ماذا؟

ـ انه رجل صلب يا كيلي، كما وأنه على وشك أن يخطب.

ابتلعت ريقها بصعوبة، ثم قالت:

ـ وأنا مخطوبة أيضاً (ثم اضافت في محاولة لترطيب الجو) شكراً على التحذير يا اندرو، لكن لا داعي للخوف علي أبداً.

تمكّنت كيلي من تجنب اللقاء بنيكولاس طيلة ما تبقى من النهار مع أنها كانت تلمحه بين الحين والآخر بشكل خاطف. وحدث

عندما كانت في المطبخ في احدى المرات أنها شعرت بمن يراقبها لكنها تعمّدت الانهماك في أعمالها بحيث لم تنظر إليه أبداً... الى أن رحل.

حان موعد العشاء، وجاءت معه اللحظات الحرجة التي تتطلّب منها الاتصال بغاري لابلاغه بالتطورات الجديدة على صعيد بقائها في الفندق. فهي ما زالت تذكر ثورة غضبه عندما حدّثته أول مرة، ولا شك أن ثورته الليلة ستكون أعنف عندما يعلم بأنها ستبقى لمدة غير محدّدة. لكن كيف أمكنها ان تتخذ قرارها دون التفكير بغاري؟ وكما توقعت تماماً، كان غاري شديد الغضب وهو يقول:

ـ ماذا تفعلين هناك بحق السماء؟

ـ انني أساعدهم في الفندق...

ـ لكنك قلت يومين فقط، اخبريني كافة التفاصيل يا كيلي!

حاولت أن تحافظ على هدوئها قائلة:

ـ غاري... أرجوك حاول أن تفهم.

ـ كلا يا كيلي لن أفهم، ولا أريد أن أفهم. ان تمثيلية الكرم والاخلاق قد انتهت. أظن أن المدعو فان ميجدين له علاقة ما بهذا الأمر.

فوجئت بصدق توقعاته، لكنها قالت:

ـ لا، لست واقعة تحت تأثير نيكولاس... السيد فان ميجدين...

أجابها بعنف صاخب:

ـ الى الجحيم به...

جاهدت كي تظل محافظة على اعصابها وهي تقول:

- جورج اندرسون ما زال بحاجة الى علاج.
- لكنك قلت انه خرج من مرحلة الخطر.
- لقد خرج من الخطر، لكن ماري يجب أن تظل الى جانبه.
اجابها بنفاد صبر:
- لست موافقاً على بقائك هناك.
ردت بلطف:
- اما كنت ترغب أن اكون إلى جانبك لو أصابك شيء؟
فوجئت بلهجة جديدة في صوته:
- هل أنت متأكدة من رغبتك في البقاء معي مهما كانت الظروف؟
كان السؤال مفاجئاً بحيث عجزت كيلي للحظات عن ايجاد الجواب المناسب. ولم يكن عجزها بسبب الخوف من التخلي عن غاري، بل من النتائج التي ستنجم عن فسخ خطوبتها في هذا الوقت بالتحديد.
وتابع غاري يقول:
- حسناً يا كيلي، هل أفهم انك راغبة في فسخ الخطوبة؟
كان صوته مثقلاً بالمرارة. لكنها واجهته بهدوء:
- طبعاً لا (ثم أضافت بعد تردد) لكن يا غاري ربما من الأفضل أن نعطي انفسنا فرصة أخرى...
سمعت شهقة خفيفة على الطرف الآخر، ثم جاءها صوته مضطرباً:
- اذن انت تريدين انهاء علاقتنا!

اجابته بتردد:
- لست ادري... انها... ربما كنا قد أسرعنا في الخطوبة...
اننا... اننا لا نعرف بعضنا البعض تمام المعرفة (ثم اضافت بصوت قوي) كل ما أقصده هو اعطاء انفسنا المزيد من الوقت كي نفكر في ما نحن مقبلان عليه.
استرد غاري أعصابه ورد بغضب مكتوم:
- قولي للمدعو نيكولاس فان ميجدين الابتعاد عن طريقي، وسأفك رقبته اذا لم يفعل!
لم ترد كيلي على ملاحظته، فهي موقنة أن نيكولاس سيلقن غاري درساً لا ينساه اذا ما تجرأ وتعرّض له. وتابع خطيبها الحديث قائلاً:
- حسناً يا كيلي، لكن يجب ان نفكر في الموضوع سوياً.
- هذا ما قصدته بالضبط (ثم أضافت في محاولة لانهاء المكالمة) سأتصل بك بعد يوم او اثنين يا غاري.
قبل هذه المكالمة، كانت فكرة تناول العشاء مع نيكولاس تؤرق تفكيرها. أما الآن فهي لا تستطيع احتمال المزيد من المنغصات. فالمسألة باتت أبعد من السخرية التي يواجهها بها، بل وأبعد من التأثير العاطفي الذي يتركه فيها... فقد اوشكت على فسخ خطوبتها، وهنا يكمن الخطر الكبير.
كيلي تدرك تماماً أن الخطوبة قد انتهت بالفعل، وذلك نتيجة الرؤية الجديدة التي باتت تنظر من خلالها الى غاري. فبالاضافة الى احساسها بأنهما لا يمكن ان يعيشا حياة سعيدة هانئة، برز عامل جديد غير متوقع اسمه نيكولاس. وهناك فرق كبير بين محاولتها اقناع نفسها

بكراهية ذلك الرجل واحتقاره، وبين مشاعرها التي تتحرك بجنون عندما تجده الى جانبها. فاذا لم تكن تحب فان ميجدين فعلاً، فماذا تسمي هذه الأحاسيس المتفجرة التي أطلق عقالها في نفسها وقلبها؟

بات عليها الآن أن تجد طريقة ما للتأقلم مع الظروف المستجدة. فالرغم من مشاعر الارتياح الخجولة التي تخفق في صدرها نتيجة ما وصلت اليه وشارتي، فان هناك عواطف التردد والشكوك والمخاوف. وهنالك أيضاً احساسها بأن ما تريده اكثر من أي شيء آخر ليس في متناول يدها أبداً.

انها لن تجلس الى طاولة العشاء مع نيكولاس مهما كانت الظروف. فهي غير قادرة على احتمال وجودها معه في زاوية منعزلة حول طاولة تضيئها الشموع الخافتة. ولن ترغم نفسها في اختراع الأعذار الواهية لأحد... وهكذا، عندما أنهت شرابها في المطبخ، انسلت بهدوء دون أن تخبر أحداً عن مقصدها.

كانت الحديقة هادئة في ذلك الظلام الدامس، لولا أضواء خافتة تطل عليها من قاعات الفندق وغرفه. وسارت كيلي مبتعدة عن أصوات الضيوف على الشرفة، وهي تتمتع بالهواء المنعش والسكينة التي أدخلت الى نفسها الهدوء والارتياح. لكن فجأة، أجفلها صوت جاء من مكان ما في الخلف:

- حسناً يا كيلي!

استدارت بخوف:

- نيكولاس... انني... انني لم أرك!

أجابها بسخرية ممزوجة بشيء لم تستطع كيلي فهمه:

- كان بودك أن تلبسي طاقية الاخفاء وترحلي من هنا؟

سألته باستغراب:

- ماذا تقصد؟

- كنت تتعمدين تجنبي طيلة النهار.

قالت بهدوء:

- الواقع انني كنت مشغولة جداً.

علق بالاسلوب الساخر نفسه:

- لا شك في ذلك. فبالنسبة لفتاة ثرية مدللة، كنت على قدر المسؤولية وقمت بأعمال لم نكن نتوقعها منك.

أجابته بتهكم:

- الم يكن مقصدك أن تُري الفتاة الثرية المدللة كيف يكون العمل؟

ثم عاد ليسألها بصوت خافت:

- هل تنكرين أنك تعمّدت تجنبي طيلة النهار؟

ابتلعت كيلي ريقها بصعوبة. كان من المستحيل عليها التصرّف بشكل طبيعي وهو قريب منها الى هذا الحد. وقالت بعد تردد:

- كنت مشغولة يا نيكولاس، وربما لم أرك. ويؤسفني أن تعتقد اني تعمّدت التهرب من طريقك.

- معقول جداً، لكن ذلك لن يقنعني يا عزيزتي (ثم أضاف بصوت حاد) انت لا تكتفين بالكذب علي، بل تحاولين الكذب على نفسك أيضاً.

ضحكت بتوتر قائلة:

- اكذب؟ ولماذا أكذب بحق السماء يا نيكولاس؟

- أنت وأنا نعرف تماماً لماذا؟

تقدم منها خطوة، فتراجعت خطوة الى الخلف لتصطدم بجذع

صدره. ثم ألح قائلاً:

- انا نعرف لماذا، أليس كذلك؟

واستطاعت من اعماق توترها وخوفها ان تجيب:

- هل تعرف فعلاً؟

- لماذا لم تخبري ماري انني أشاركك النوم في الكوخ؟

كانت تتوقع هذا السؤال طيلة النهار، بل ان احد أسباب تجنبها لقاءه كان خوفها من أن يسألها ذلك. ليس لأنها لا تعرف الجواب، بل لعدم جرأتها على البوح به حتى لنفسها. وها هو نيكولاس ينتزع منها الجواب انتزاعاً.

انتفضت بغضب وهي تقول:

- لقد جعلت الوضع صعباً بحيث... (ثم ترددت وكأنها تبحث عن الكلمات المناسبة، وتابعت تقول) جعلته غير محتمل. وطالما ان الأمور وصلت الى ذلك الحد، فلم يكن من المناسب اقلاق بال ماري. وكما قلت، لديها ما يكفي من المتاعب!

جلجلت ضحكته في سكون الليل وهو يقترب منها أكثر:

- ان ادعاء الفروسية لا يناسبك يا كيلي.

اجابت وهي ترتجف:

- كنت أجيب على سؤالك فقط. ولست مسؤولة ما اذا كنت لا تصدق أقوالي!

- تعجبني محاولتك الاختباء خلف أعمال الخير عندما تريدين اخفاء الحقيقة.

ردت بغضب:

- لست أحاول اخفاء أي شيء.

- حقاً؟ انك امرأة حارة العواطف يا كيلي. وربما كنت تكرهينني، لكنك لا تستطيعين تجنب انجذابك لي. (ثم ضمها الى ذراعيه) هل من الضروري أن أقول المزيد؟

همست بصوت خافت:

- انني أكرهك.

أجابها بلا مبالاة:

- هذا شعور ايجابي في أي حال. وهو افضل من احاسيسك الباردة تجاه اندرو لانغ وخطيبك المذكور...

دفعته عنها بقوة وهي تصرخ:

- دعني يا نيكولاس.

- لو أنك تريدين هذا فعلاً، لكنت أخبرت ماري عن بقائي في الكوخ معك.

ولم يترك لها مجالاً للتراجع أو الكلام، بل ضمها الى صدره بقوة بحيث أسقط كل مقاومة كانت ترغب في ابدائها. وبعد لحظات خيل اليها أنها ساعات، قال بصوت متهدج:

- قوليها يا كيلي... هيا قوليها.

ابتعدت عنه وهي تقول:

- أقول ماذا؟

- انك تريدينني.

لم يكن هناك مجال للانكار. فهي تريده بقلبها وأعصابها. وقالت ببساطة:

- حسناً. انني اريدك... لكن هذا لا ينفي كراهيتي تجاهك.

تملصت قبضته على ذراعيها وهو يقول:

- يجب أن تعرفي أن خيطاً رفيعاً جداً يفصل بين الحب والكراهية (ثم أضاف بعد تردد) لكن هذا ليس حديثنا يا كيلي، أليس كذلك؟ اننا نتكلم عن الانجذاب والميل.

ردت بعنف:

- يا لك من رجل منحط!

- كي افتح عينيك على الحقيقة يا كيلي، عليك أن تكوني صادقة مع نفسك... وعندها ستعرفين لماذا لم تجرؤي على ابلاغ ماري بأنني أنام في الكوخ أيضاً

انه يتعلق بالحقيقة كاملة، ولا مجال للانكار بعد الآن. فهي تعمدت عدم الاشارة إلى الموضوع، كي لا تتخذ ماري ترتيبات تفرقهما عن بعضهما البعض.

ردت بعنف وكأنها تدافع عن ورقتها الأخيرة:

- انك لا تجرؤ على فعل أي شيء.

- انت لا تعرفينني تماماً يا كيلي. فأنا أجرؤ على فعل كل الأشياء التي أرغب فيها... ومن حسن حظك انك في مأمن الليلة.

وخانتها الكلمات هذه المرة:

- انت غير راغب بي!

- لنقل انني لا أحب النساء الطيعات دائماً، بل أريدهن أكثر خبرة وتمنعاً.

- مثل سيرينا دي باغر على سبيل المثال؟

أجابها بشماتة وسخرية:

- لا أحد يستطيع أن يقلل من ميزان سيرينا.

ولم تستطع كيلي أن تجيب. فالطعنة القاسية التي تشعر بها كلما ذكر

اسم سيرينا، جاءت هذه المرة أقوى وقعاً وأشد ايلاماً. وأخيراً أخرجها صوت نيكولاس من ضياعها قائلاً:

- تمتعي بنومك جيداً يا كيلي!

٩ - غصة في صدر السعادة

كان النوم حلماً مستحيلاً بالنسبة الى كيلي هذه الليلة، فأفكارها موزعة ومشتتة في كل اتجاه. وبين الحلم واليقظة، استطاعت أن تسرق دقائق معدودة من النوم.

وهكذا، عندما انبلج شعاع الفجر الأول كانت كيلي أول المستيقظين. وفي غرفة الجلوس، شاهدت نيكولاس ما زال غافياً فوقفت تتأمل وجهه الذي أخذ منه النوم قسوته، وتركه جذاباً هادئاً كما لم تشاهده من قبل.

هذه هي المرة الأولى التي تراه فيها على حقيقته، دون قسوة أو سخرية أو غضب. وقد أشعرتها سكينته بالرغبة في لمس وجهه وشعره. لكنها استدارت بعنف وعادت الى غرفة النوم للاستعداد

ليوم آخر في الفندق.

واذا ما استغرب نيكولاس استيقاظها المبكر وانهماكها في العمل قبل مطلع الفجر، فعليه أن يدرك انها لم تنم جيداً بالأمس بعد المواجهة الحامية بينهما في الحديقة... في حين انه نام ملء جفونه دون أن يؤرق ضميره شيء. لكنه لم يظهر أي شيء عندما التقيا في وقت لاحق ذلك الصباح.

أخبرها بهدوء ولطف ان المؤتمر على وشك الانتهاء، وان المنظمين قرروا اقامة حفلة غداء خاصة تكريماً للمهندسين المشتركين... وطلب منها أن تتولى بنفسها الاشراف على هذه الحفلة.

سألته بدهشة:

- انا؟!

اجابها ببساطة:

- اجل، انت.

- لا يا نيكولاس، لا استطيع ذلك.

رد بلا مبالاة:

- بلى، ستتولين الاشراف بنفسك.

نظرت اليه طويلاً، ثم قالت:

- ولماذا يا نيكولاس؟

- هذا شيء تتولاه ماري عادة... وأنت تقومين بمسؤولياتها الآن.

- لكن يا نيكولاس... (رددت باحثة عن الكلمات المناسبة التي تخفي اضطرابها) أقصد ان المأدبة مهمة جداً، فماذا اذا ارتكبت خطأ ما؟

أحست كيلي في تعابير وجهه شيئاً جديداً تجاهها، شيئاً لم تعهده

فيه من قبل. لكنه قال بهدوء:

ـ لن ترتكبي أي خطأ يا كيلي.

ـ لكن. . .

قاطعها بابتسامة دافئة، وهو يحدق فيها مباشرة:

ـ انت قادرة اكثر مما تتصورين.

شعرت بخفقات غريبة في صدرها، وهي تتساءل بلهفة:

ـ هل تقصد ذلك حقاً؟

اجابها بالابتسامة الدافئة نفسها:

ـ طبعاً. . . سوف تنجحين يا كيلي!

لو ان هذه الكلمات جاءت من أي انسان آخر، لما تركت التأثير الذي تركته عبارة نيكولاس. لكن من نطق بها هو الرجل القاسي الجذاب الذي لا يشبهه احد. . . والذي لم تخفف كراهيتها واحتقارها له منذ اللحظة الأولى التي وقعت عيناها عليه.

والغريب ان هذه الكلمات غمرتها بسعادة طاغية فور رحيل نيكولاس عنها. فهو أظهر ثقته بها، خاصة وان المأدبة تعني الكثير بالنسبة الى مستقبل الفندق. ورجل مثله لا يمكن ان يضع ثقته إلا اذا كان متأكداً من أهلية الشخص الذي منحه اياها.

باتت مشاعرها خارج اطار السيطرة، ان اية كلمة طيبة من هذا الرجل تجعلها تطير من الفرحة وتحلق في سماوات لم تعرفها من قبل. لربما كان نيكولاس لا يحبها، ولربما كان يكرهها. . . لكن مجرد أعرابه عن الثقة بها يعني ان هناك تحسناً ما في العلاقات، ويعني ايضاً انه يراها انساناً سوياً ذا قيمة خاصة بعيداً عن أموال الأب الثري. ومع ذلك فهي تريد اكثر من الاحترام. . . خاصة وأن نظرته اليها لم تعد نظرته الى انسان هامشي يعيش على جهد الآخرين وتعبهم.

وتعهدت لنفسها بأن تنجح، مع انها لم تواجه مثل هذه المهمة الصعبة من قبل. . . وان كانت ضيفة الشرف في عشرات من الحفلات المماثلة. فمن أجل ماري وجورج ستحاول ان تجعل المأدبة مناسبة لا تنسى كي تجذب المهندسين مرات اخرى. اما فيما يتعلق بنيكولاس فسوف تثبت له مرة والى الأبد انه اساء الظن بها كثيراً.

وهكذا مر اليومان التاليان وكيلي لا تجد وقتاً للراحة. كان من المفروض أن يقوم الخدم بالطهي واعداد الموائد، لكنها أصرت على الاشراف عليهم بنفسها اضافة الى تنظيم القاعة وتنسيق الزهور واقامة نوع من الديكور الخاص. في البدء كانت الامور صعبة نوعاً ما، غير أن الشكل النهائي بدأ يأخذ طابعه الخاص مع مضي الوقت واضافة لمسات جديدة كل لحظة.

حاول اندرو التقرب منها خلال هذه الفترة، لكنها كانت ترده بسبب انهماكها في العمل. وحدث مرة أن طلب منها مرافقته في نزهة قصيرة، وعندما رفضت بأدب لاحظت على وجهه تعبيراً هو مزيج من الضيق والاشمئزاز، ولم يدم هذا التعبير سوى لحظات قصيرة، عاد بعدها كما عهدته ودوداً لطيفاً، ليذكرها بأنه باق في الفندق بعد انفضاض المؤتمر. . . فأكدت له انها سترافقه في النزهة حينذاك.

بين الحين والآخر كان نيكولاس يطل عليها وهي غارقة في اللوائح المتعددة للمأدبة، يستمع منها بصمت الى خططها وأفكارها، مبدياً بعض الملاحظات العابرة. لم تكن تلاحظ على نفسها الحماس وهي تتحدث اليه. الشيء الوحيد الذي كانت تعرفه أن نيكولاس يعاملها ولأول مرة منذ تعارفهما كانسان سوي يحمل افكاراً جديرة بالاحترام. وفي المرات القليلة التي تكلّم فيها، كانت لهجة السخرية والتهكم قد ذهبت الى غير رجعة من عباراته.

ـكالعادة، كان وجوده يؤثر عليها بشكل لا يوصف. وتجد صعوبة في كبت خفقات قلبها التي تزداد كلما شاهدته، وكذلك في منع رغبتها بلمس يده وشعره والبقاء الى جانبه.

سألته ذات مرة:

- هل تظن ان ماري ستعود قبل المأدبة؟

اجابها وهو يتأمل وجهها الهادئ:

- لا اعتقد ذلك!

ردت والفضول يملأ نفسها:

- لا؟

- سوف تندمين لو انها أتت فعلاً؟

كان على وجهه تعبير غريب لم تجد كيلي له تفسيراً، وان اشعرها بفرح غامر حرك أحاسيسها الساكنة. قالت وهي تبتسم بلطف ونعومة:

- في هذه المرحلة أفضل أن انهي الاعداد على طريقتي الخاصة.

مدّ يده ببساطة وأبعد خصلة من شعرها تناثرت على جبينها البض. كانت كيلي تعرف أنه تصرف طبيعي من رجل يريد أن يرى مضيفته بأجمل صورة أمام المدعوين في المأدبة، لكن الأمر بالنسبة اليها كان يعني لمسة سحرية مذهلة.

قال لها مبتسماً:

- سوف تنجحين بالتأكيد يا كيلي.

- جرب أن تقنعني... وسترى!

وضحكا معاً، ضحكة من الأعماق هي الأولى منذ تعارفهما...

ثم انصرفا كل الى اعماله.

الحفلة كانت ناجحة تماماً، وقد سارت الامور على أفضل ما يرام.

ـطعام يختلف عما اعتاد الطهاة اعداده، وذلك بناء على تعليمات ـلي التي نُفذت على أكمل وجه... وقد أضافت المزهريات ـسيقات الورود جواً رومنطيقياً ساحراً على القاعة، انتزع الاطراء ـن معظم المهندسين وضيوفهم. وأفضل اطراء كان تعهد رئيس ـؤتمر بالعمل على عقد الدورة السنوية المقبلة في هذا الفندق ـذات.

ـرد نيكولاس الذي كان يقف الى جانب كيلي:

- هذه اخبار جيدة بالنسبة الى ماري وجورج.

في هذه اللحظة ظهر اندرو، واقترب من المجموعة ليشترك مع ـلي في حديث طويل.

لم تجد كيلي نيكولاس في الكوخ عندما عادت في وقت متأخر من ـليل. شعرت من جهة بخيبة أمل لأنها ستنام دون أن تراه، ومن جهة اخرى أحست بالارتياح خوفها من حدوث شجار بينهما يعكر صفو هذا اليوم الناجح جداً. لكن النظرة الأخيرة التي جاءت بعد ـتهاء المأدبة كانت تحمل التقدير والاحترام... وأشياء اخرى عديدة تسيطر على افكارها الآن وهي مستلقية على السرير تستعيد ـحداث اليوم وتطوراته.

ومن بين أجنحة النوم وأحلام اليقظة، جاءها صوت دافئ، لم تميزه ـللوهلة الأولى، ثم فتحت عينيها بدهشة قائلة:

- نيكولاس؟ هل غرقت في النوم.

- طبعاً استغرقت في النوم!

- أنا آسفة، كان يجب عليك أن توقظني.

وبدلاً من اللهجة الساخرة المعتادة، اجابها بصوت حنون:

- انت تستحقين النوم الآن يا كيلي.

وعادت الى ذهنها على الفور تفاصيل اليوم الماضي، نجاح المأدبة، اطراء الضيوف، تعهد المهندس . . . والأهم من كل ذلك عبارات المديح من نيكولاس نفسه. وتذكرت انها حاولت البقاء مستيقظة امس في انتظار عودته، لكنه تأخر فسرقها النوم. ماذا كان يفعل؟ هل امضى سهرته مع المهندسين أم شغلته امور اخرى في الفندق؟ لربما موعد مسائي مع سيريتا دي ياغر؟ الأمر ليس مهماً الآن، فها هي الشمس مشرقة دافئة والنهار جميل ونيكولاس موجود الى جانبها.

قالت له مشيرة الى الباب:

ـ دعني ارتدي ملابسي، فقد تأخرت على الفندق.

ـ لا عمل لديك اليوم. (وضحك بصوت مرتفع عندما لاحظ دهشتها وأضاف) أنت تستحقين أكثر من النوم يا كيلي . . . بل نحن نستحق يوم عطلة كاملاً.

حدقت فيه وهي لا تصدق اذنيها. يوم عطلة كامل تكتشف فيه الحدائق وتذهب في نزهة الى الجبال والوديان والسواقي؟ يوم كامل وحدهما، فاندرو سيكون مشغولاً في الجلسة النهائية للمؤتمر بينما سيذهب نيكولاس الى سيريتا التي طال غيابه عنها.

قالت بفرح طفولي:

ـ فكرة ممتازة جداً. سوف أذهب الى النهر، وربما استلقي عند البركة طول النهار للتمتع بأشعة الشمس!

وانتظرت أن يعلق بسخريته المعهودة، لكنه فاجأها مرة اخرى بابتسامة لطيفة وهو يقول:

ـ سوف تشعرين بالملل سريعاً. سآخذك معي كي تتعرفي الى المزرعة التي أملكها!

كانت الشمس ساطعة في كبد السماء الصافية الزرقاء، والجبال

تلتمع بألوانها الخضراء الداكنة. وعبر نوافذ سيارة نيكولاس كانت تتناهى اليها أصوات طيور الغابة متمازجة مع خرير السواقي والينابيع التي لا تعد ولا تحصى. وبعد فترة قصيرة أخذ الطريق الجبلي يضيق ويمتلىء بالمنحنيات التي يعرف نيكولاس كيف يتعامل معها بدقة، نتيجة المعرفة الطويلة له بهذه المنطقة.

عندما أخبرها برغبته في تمضية اليوم معاً، وفي مزرعته، لم تكن قادرة على وصف سعادتها الغامرة. ومع ذلك كان عليها أن لا تدعه يشعر بأهمية وجودها معه بعيداً عن الناس والمشاغل. فهو سيسخر منها، ويذكرها بغاري خطيبها الذي لا يعرف شيئاً عن تصرفاتها وهي بعيدة عنه.

خطيبها . . . هزت رأسها وفكرت بما قالته له في آخر اتصال بينهما، يجب أن نفكر في اوضاعنا. لا شك انه يتساءل الآن عن مضمون قرارها، وبالتالي عليها أن تعطيه جواباً. لقد اتضح الجواب الآن، لكنها ستحاول ان تبلغه اياه بلطف كي لا تجرح مشاعره. لن تخبره عن قدرة نيكولاس على زحزحته من قلبها واحتلال مكانه . . . هذا شيء يجب أن يبقى. ويجب أن تنساه هي بالذات عندما تغادر الفندق دون رجعة.

جاهدت كيلي كي تعيد تركيزها على الطبيعة الساحرة التي تعبر بها. فاذا ما ظلت سائحة مع افكارها ومشاعرها، فسوف تعكر جمال هذا اليوم ليس لنيكولاس وحده بل لها هي أيضاً كونها تريد من اعماقها أن تستفيد من المناسبة الى اقصى حد. هذا اليوم سيظل في ذاكرتها طويلاً، ذكرى مهمة جداً ستخفيها في أعماق عقلها بعيداً عن الناس كلهم.

وصلت السيارة الى طريق موازٍ لجدول مائي صغير. ولسبب ما

حسبت كيلي ان نيكولاس يراقبها، فالتفتت اليه لتجد عينيه مسمرتين عليها بنظرة متفحصة هادئة، خالية من كل القسوة التي عهدتها فيه... فوق ابتسامة ساحرة جعلتها تتساءل عن سبب ارتسامها على شفتيه. تضرجت وجنتيها بحمرة ارتباك رداً على تعابيره اللطيفة. ثم اسبلت جفنيها هرباً من مشاعرها المتفجرة.

قال لها بلهجة هي مزيج من الأمر والنصح:

- تمتعي بيومك هذا يا كيلي.

ردت وهي تدير وجهها عبر النافذة الى المناظر الطبيعية الخلابة:

- هذا ما انوي فعله.

واخيراً أطلا على بايتفيل، المحاطة بالغابات الكثيفة من كل جانب. كانت كيلي تظن ان هذه الاراضي ملك للحكومة، لكن نيكولاس شرح لها ان هناك العديد من المزارع [illegible] مع املاك الدولة... وبايتفيل مزرعة خاصة به.

وجلست تستمع اليه بصمت وهو يحدثها عن الاراضي والأشجار وصناعة الأخشاب والورق الموجودة في المنطقة. وكانت تسأله بين الحين والآخر ما خطر [illegible] فبدا عليها انه شخص خبير يعرف مهنته تمام المعرفة. ولم يمض وقت حتى استطاعت ان تدرك عظم المسؤولية الملقاة على عاتقه في هذا العمل الكبير والواسع.

واهم ما اسعد كيلي في هذه الأثناء، انها ترى نيكولاس لاول مرة يتكلم بعيداً عن القسوة والسخرية والتهكم التي واجهها بها طيلة الأيام الماضية. لقد شاهدت لطفه مع ماري، وحنانه مع سيرينا.

وكان عليها أن تنتظر حتى الآن كي تشاهد الجانب الآخر من شخصيته. ألا وهو الجانب العملي الناجح. هذا الجانب الذي تدعمه وتبرزه صفات القوة والصلابة والحزم اضافة الى بعد النظر

حسن الادارة والتدبير.

انها ترى الآن شخصية اخرى تماماً، وكأنها لم تعرف نيكولاس من قبل على الاطلاق. فهو قد اسقط القناع عن وجهه، ليكشف لها عن حبه للارض وتعلقه بالمزرعة وعلاقته الحميمة الخاصة بمسقط رأسه ومكان معيشته.

هكذا ستتذكره عندما تغادر هذا المكان. فرحلة اليوم أعطتها الفرصة لتدخل الى اعماق الرجل الذي أثّر عليها كما لم يفعل اي رجل من قبل... هذا هو الزاد الذي سترحل به عن الرجل الذي احبته.

انها تحب نيكولاس فعلاً، ولم يعد من المناسب النكران. لقد ظلت [illegible] تحاول الكذب على نفسها، على أساس انه حب مستحيل. فنيكولاس فان هيوسدين رجل لن يبادلها المشاعر، انه يكرهها وسيظل يكرهها الى الأبد. كما وان زواجه من سيرينا مسألة وقت فقط.

كان هناك الكثير [illegible] في بايتفيل. وتبين لكيلي انه ما من شيء يقوم به نيكولاس، الا وينجزه على أتم وجه. كما وان الابداع الموجود في المزرعة كشف لها أسباب تعامله الفوقي معها بالرغم من انها ابنة احد اكبر اثرياء البلد. فهو رجل لا يعتمد على اي انسان آخر، بل يشق طريقه في الحياة كما يريد وبناء على مخططاته الخاصة. انه سيد نفسه وفخور بذلك، وغير مبالٍ بالثروة سواء كبرت او صغرت، مع ان مظاهر مزرعته تدل على الثروة الهائلة.

بعد ان خرجا من الطريق المحفوف بالغابات، وصلا الى ممر ضيق يفضي الى البيت القائم بين تلتين مشجرتين. ومثله مثل باقي المزرعة، كان بيتاً رائع الجمال ذا نوافذ واسعة للتمتع تحت أشعة

الشمس الساطعة. ولاحظت كيلي ان هندسة البيت تعمدت ان تطل مناظره الرئيسية ناحية الجبال الشاهقة. وتخيلت نيكولاس وهو يجلس كل مساء على الشرفة متأملاً الجبال بعد عناء يوم العمل الطويل... ثم أطلت صورة سيرينا، جالسة الى جانبه تستمع اليه يحدثها عن احداث النهار. وشعرت كيلي بغصة خانقة رافقتها طعنات مألوفة في اعماق الصدر.

بعد لحظات كان نيكولاس يقودها عبر ممر طويل مغطى بسجاد فاخر، يؤدي الى سلالم توصل بدورها الى الشرفة. كان ديكور البيت مخالفاً لتصورات كيلي عما تكون عليه بيوت العازبين. فنيكولاس رجل لا يقبل الحلول الوسط، ومما لا شك فيه انه فرش بيته بأفضل الموجود معتمداً على ذوقه المميز وطابعه الخاص.

أحست كيلي ان نيكولاس فخور ببيته، وهو يحب ان يراه الناس وأن يبدوا اعجابهم به وبلمساته. والحقيقة ان كل الغرف تجعل من الصعب على المشاهد الا يبدي دهشته للديكور المتقن الذي صممه وصنعه بنفسه. فقد كانت هناك سجادات عجمية فوق خشب البلوط المصقول، الى جانب تحف منوعة من كل حدب وصوب. وعلى نقيض الوان الخشب الداكنة، كانت الستائر وأغطية المقاعد ذات لون فاتح، اختير خصيصاً كي يعطي تناقضاً محبباً مع عتمة الخشب المصقول.

سألها وقد استدارت عن النافذة المطلة على الوادي:

- ما رأيك؟

قالت بصوت منخفض:

- كل شيء رائع الجمال.

كانت تود أن تسأله ما اذا كان أحد ما قد ساعده في انتقاء

المفروشات والديكور، ربما سيرينا؟ لكنها لم تستطع.

اجابها قائلاً:

- انا مسرور لاعجابك بالبيت (ثم اضاف بعد تردد) هل تريدين رؤية الباقي؟

لم يعد هناك غير غرفة النوم. وهي ترغب في رؤيتها قبل اي غرفة اخرى كي تعرف تماماً كيف يرتب هذا الرجل اكثر مكان حميمية للانسان. وكانت تفكر بأن تقول، لا، وهو الجواب المناسب في هذه الظروف... لكن قلبها وعواطفها تآمرت عليها لينطق لسانها بعبارة واحدة بسيطة:

- نعم!

١٠- قبل الوداع

كانت الغرفة كبيرة الحجم، مفروشة بأثاث بسيط وجميل يعكس ذوق صاحبها وشخصيته الرجولية الطاغية. ومع ذلك، فيمكن ببساطة تحويلها الى عش زوجية هانىء بمجرد اضافة لمسات نسائية خاصة.

ويبدو أن نيكولاس لاحظ تعابير وجهها وهي تفكر في طبيعة الغرفة فسألها بلطف:

- ألم تعجبك الغرفة يا كيلي؟

- تعجبني؟ (ثم التفتت وكأنها فوجئت بالسؤال، وقالت:) آه... طبعاً.

في هذه الاثناء، كان نيكولاس قد اقترب منها خطوتين

اكثر... ولم تذكر كيلي شيئاً فيما بعد، الا أنها التقته في منتصف الطريق، وضاعت بين ذراعيه في عناق حميم. المهم بالنسبة إليها الآن ليس المستقبل، وليس النتيجة التي ستؤدي إليها علاقتهما... الأهم أنها مع الرجل الذي تحب أكثر من أي شيء آخر في الحياة.

وفجأة رن جرس الهاتف من غرفة مجاورة، فابتعدا عن بعضهما وأنفاسهما تكاد تتقطع. لكن كيلي قالت بصوت متهدج:

- لا ترد...

استمع نيكولاس لنصيحتها للحظات، لكن رنين الهاتف المستمر دفعه للقول:

- يجب أن أجيب، فلو لم تكن المسألة عاجلة لما حاولوا المخابرة الى هنا.

أنهى محادثته الهاتفية بسرعة، ثم التفت اليها قائلاً:

- انهم بحاجة الي يا كيلي.

أجابت بضيق:

- اني...

قاطعها بهدوء:

- ربما الأفضل لنا أن نغادر البيت. فهم يريدونني في المزرعة. فهل ترغبين في مرافقتي أم تفضلين الاستراحة في الحديقة حتى موعد عودتي؟

قالت بابتسامة خفيفة:

- سأرافقك الى المزرعة، أليس ذلك جزءاً من الرحلة الاستطلاعية؟

وصلا معاً الى مطحنة الخشب التي تصنع الورق في أحد أطراف المزرعة. وهناك أشرف نيكولاس على حل الاشكال العالق بسرعة

وفعالية، ثم قادها في جولة سريعة على ارجاء المطحنة والمصنع الملحق بها، وعرفها على العمال الذين رحبوا بها بحرارة وكانوا سعداء لوجود رب عملهم معهم.

وأخيراً انتهى النهار وعادا الى الفندق لمتابعة الاشراف على المسؤولية الملقاة على عاتقيها. كانت كيلي سعيدة بالعودة، فالنهار لم ينته كما اشتهت... بل ملأها بالأسئلة التي لم تجد لها جواباً: هل ارتكبت خطأً في مرافقته؟ هل أساءت الى نفسها امامه؟ أم أنها أساءت إليه بشكل أو بآخر؟ كانت تود أن تسأله، لكن لم تجد الجرأة اللازمة لذلك.

في تلك الليلة كانت سيربنا في الفندق لتناول العشاء مع نيكولاس. ولم تدر كيلي ما اذا كان مجيئها صدفة أو تلبية لدعوة خاصة من نيكولاس، ومع ذلك، سواء بوجودها أو عدم وجودها، فإن العشاء تحول الى ساعة كاملة من العذاب والتوتر... خاصة وأن الاهتمام كان بين اللذين على وشك الزواج قريباً.

وأخيراً اعتذرت كيلي لاضطرارها للانسحاب بعد النهار المتعب الذي امضته في مزرعة بابتفيل. وعندما سمعت سيربنا ذكر المزرعة، أطلقت نحو نيكولاس نظرة لوم وعتاب لم تخف على كيلي، التي لم يخفف عنها هذا الانتصار المؤقت مشاعر الغيرة القاتلة.

ظلت كيلي مستلقية لمدة طويلة على السرير المزدوج في الكوخ الغارق بالظلام، وهي تسرح نظرها في السماء الصافية المطرزة بالنجوم. كانت تحاول جاهدة ان تخفف عن نفسها الضيق والتوتر، لكن صورة سيربنا ونيكولاس حول طاولة منفردة مضاءة بالشموع على بعد أمتار منها كانت تنغص عليها استرخاءها. ماذا ستقول سيربنا اذا ما عرفت بتفاصيل ما حدث في المزرعة؟ هل ستعتبر الأمر

مجرد نزوة، أم ستعاني من أحاسيس الغيرة التي تنخر في اعماق الصدر كما تحس كيلي الآن؟ السؤال غير مناسب ابداً، فنيكولاس لن يشير الى الموضوع لا من قريب ولا من بعيد كي لا يدمر علاقته بعروس المستقبل من أجل مغامرة عابرة لا تعني له شيئاً.

لم تستطع النسمات المنعشة عبر النافذة أن تخفف من حرارة غرفة النوم، وظلت كيلي لدقائق عديدة تتقلب على الفراش سعياً وراء ملاك النوم المستعصي عليها. فالنوم وحده ينقذها من افكارها ومعاناتها مع مشاعرها، ويضع حداً لتفجر أحاسيسها المتضاربة منذ ان تركت غاري واصدقاءها وعادت الى الفندق كي تدفع ثمن غلطتها في الأساس.

آه.. كم كانت النتائج التي حصدتها مختلفة عما خططت له في الأساس. فالمساعدة التي جاءت تعرضها على جورج وماري تحولت الى شيء آخر تماماً... وان استطاعت ان تتأقلم مع الجو بعد ايام قليلة. لكن حبها لنيكولاس لم يكن في الحسبان، وهي ترفضه حتى الآن. والمشكلة الكبرى أنها غير قادرة على التأقلم مع هذه العاطفة التي قلبت حياتها رأساً على عقب. والسؤال الذي يقلقها: هل ستستطيع النسيان في يوم من الأيام؟

هربت كيلي من افكارها والحرّ الى خارج الكوخ حيث الهواء المنعش والنسيم العليل. وباستثناء همسات بعض حشرات الليل، كان كل شيء ساكناً مما أشعرها بزوال بعض التوتر من نفسها وبهدوء، أخذت تتجوّل دون هدى بين الاشجار المتناثرة في الحديقة وقد استغرقتها الافكار. وعلى حين غرة وقع نظرها على نيكولاس في الطرف الآخر من الحديقة. وللحظات نسيت كل افكارها... فماذا يهم لو أنه تناول العشاء مع سيربنا، طالما أنها

قادرة على الانضمام إليه وقضاء الليل بصحبته؟ وكادت أن تهرع نحوه بشوق لولا أن شاهدت ما جعلها تجمد في مكانها والأسى يملأ قلبها. لقد كانت سيرينا بصحبته، والسبب في أنها لم تظهر من قبل كونها كانت تسير خلفه مما حجبها عن الانظار.

جمدت كيلي في مكانها وهي تستمع الى همسات الاثنين في ظل الاشجار الكثيفة الاغصان. لم تكن تريد أن تعرف عما يتحدثان.. فيكفيها ما رأته منهما حتى الآن. انها تريد الهرب من هذا المكان قبل أن يرياها. ولكن قبل أن تفعل، شاهدت ذلك الرجل المعشوق ينحني بهدوء على رفيقته الحسناء ليعانقها مطولاً دون ان يشعرا بوجود غيرهما في هذا العالم.

كانت ما تزال مستيقظة عندما عاد نيكولاس الى الكوخ، وظلت متحجرة في السرير حتى فتح باب غرفة النوم ودخل عليها. وعندها تظاهرت بالنوم كي لا تدخل معه في نقاش قد يؤدي الى ما لا تحمد عقباه. لكنه وقف طويلاً الى جانبها دون ان يتكلم. ويظهر أن انتظام انفاسها والعتمة المخيمة افهماه بأنها مستغرقة في النوم فعلاً. وفجأة اقترب منها، ومد يده الى رأسها يتحسس شعرها المبعثر بحنان ولطف... ثم استدار خارجاً وقد أحست من وقع خطواته أنه غاضب ومتوتر!

واستطاعت بعد ذلك أن تتجنبه، لأن ذلك هو الحل الوحيد في هذه الظروف. فاذا ما كانت تريد لجرح القلب أن يندمل، فان الاحتكاك الأقل معه هو الدواء الشافي. لقد باتت تعرف مجريات العمل في الفندق، وهي ليست بحاجة الى اية نصائح منه. كما وأنها تعرف مواعيده وارتباطاته، وبالتالي قادرة على عدم الالتقاء به. المهم أن تعود ماري بأسرع وقت ممكن...

وعندما دعاها اندرو الى نزهة قصيرة، قبلت بارتياح شديد.. لأنها انتهت قبل دقائق من عمل الفندق وبدت أمامها ساعات من الملل والفراغ التي لا تريد أن تشغلها بالتفكير في نيكولاس.

سارا معاً في الممر الذي يلتف حول الفندق، ثم يؤدي الى المنحدرات الجبلية التي تغطيها الغابات الكثيفة. انها المرة الاولى التي يكونان فيها على انفراد مع الطبيعة الساحرة التي تولد السكينة في القلوب المتعبة. وسرعان ما وجدت كيلي نفسها تستمتع بالنزهة بعد توترات الأيام القليلة الماضية، متناسية مشاعر اندرو التي أبداها في أكثر من مناسبة. فهي لا ترى فيه الا الصديق اللطيف.

وصلا بعد دقائق الى شلال مائي صغير، حيث الماء ينحدر من تلة صغيرة في طريقه الى جدول مائي يصب بدوره في نهر واسع في مكان ما من الوادي. ذهلت كيلي لهذا المنظر البديع، فقالت بلا وعي:

- يا له من منظر جميل جداً!

- بل أنت الجميلة يا كيلي.

استدارت كيلي بهدوء وقد فاجأتها لهجة اندرو المليئة بالعواطف الجريئة، وقالت:

- اندرو...

قاطعها وهو يمسك يدها بكلتا يديه:

- كيلي... يجب ان تعرفي طبيعة مشاعري نحوك.

حبست دموعاً مفاجئة في عينيها، خائفة مما سيؤدي إليه هذا الموقف من تعقيدات، وقالت برجاء:

ـ أرجوك يا اندرو ألاّ تفعل.

ـ يجب أن أخبرك.

همست:

ـ لا . . . أرجوك.

ـ هل ما زلت متعلقة بغاري؟

لم تكن قادرة على الاجابة الواضحة، كما وأنها لا تستطيع أن تكذب عليه وهي ترى فيه الصديق اللطيف. لذلك هزت رأسها بالنفي، فتابع يقول:

ـ انه نيكولاس اذن. . . لكن لا مستقبل لك مع هذا الرجل.

ـ انني أعرف. . .

ـ أنا أحبك يا كيلي، وأستطيع ان أقدم لك الكثير.

ابتلعت ريقها بصعوبة وردت بحزن:

ـ لكنني لا أستطيع أن اقدم لك شيئاً بالمقابل.

قال بعد تردد:

ـ يجب ان تصبحي زوجتي.

ردت بهدوء:

ـ لا أعتقد أنك تريدني بدون حب. . . فأنت تستحق كل خير يا اندرو.

لم يعمد اندرو الى الالحاح، بل أخذها بيدها وسارا معاً بصمت عائدين الى الفندق. وفي هذه الاثناء كانت كيلي قد حسمت مجموعة من الأمور العالقة بنفسها.

كانت تشعر بالأسف لأنها جرحت اندرو في مشاعره. ولكنه رجل ناضج ويعرف كيف يتقبل الجروح وينتصر عليها. ولا شك أنه سيتمنى كيلي عندما يعود الى المدينة، ويتعرف الى [illegible] في أعماله الناجحة.

ثم هناك غازي. وقد بات من الواضح أن كيلي لا يمكن أن تتزوجه، وليس من المناسب ابقاؤه منتظراً دون أمل. وعليها هي أن تبادر الى انهاء الموضوع بأسرع وقت ممكن. ومهما كانت ردود فعله فانه لا يلام. لكن كيلي وجدت نفسها تتساءل ما اذا كان غازي يحبها فعلاً؟ اما اذا كانت مشاعره مجرد نزوة عابرة، فهو قادر على تجاوز المحنة بما يملك من حيوية ومقدرة على اجتذاب النساء.

ويبقى نيكولاس في النهاية. وهو مشكلة تبدو صعبة الحل خاصة فيما يتعلق بكيلي نفسها، باعتبار أنه لم يظهر مشاعره الحقيقية تجاهها حتى الآن. ومنذ أن شاهدته مع سيرينا في الحديقة، استطاعت أن تتجنبه كلية دون أن تزول من نفسها تلك الغيرة اللعينة. . . بل على العكس. لقد حان وقت التفكير الجدي بمستقبلها بعد ان تجد مهنة خاصة تشغلها عن قضايا القلب والحب والزواج.

عادت الى ذاكرتها الأيام الطويلة التي أمضتها في المستشفيات مع الاطفال المرضى، فشعرت ببعض الرضى عن الذات المتعبة. لكن هذا العمل التطوعي في أوقات الفراغ لم يعد يكفي، بل هي تريد عملاً دائماً فيه الكثير من التحدي لقدراتها ومواهبها. لعل الاهتمام بحضانة للأطفال هو نوع العمل الذي ترغب فيه. . . في كل حال، عندما تعود الى دوريان سوف تقلب كل الاحتمالات المتوافرة.

سألها اندرو وهما يقتربان من الفندق:

ـ هل تشاركينني في فنجان من الشاي على الشرفة؟

التفتت اليه واجابت بلطف:

- لا أظن ذلك. شكراً في أي حال، لكن أفضل لنا أن نفترق.

اجابها بأسى حقيقي:

- لربما كنت على حق. أنت فتاة رائعة يا كيلي، وأتمنى لك كل السعادة الممكنة في المستقبل.

ثم رفع يدها الى شفتيه وطبع عليها قبلة رقيقة. وفجأة جاء صوت مألوف:

- يا له من منظر عاطفي.

استدارت كيلي بسرعة لتجد نيكولاس واقفاً على بعد خطوات منها، وقد تقلصت عضلات وجهه غضباً. وتابع يقول:

- اذن هكذا تمضين أوقات فراغك يا كيلي.

اجابته بغضب مماثل دون أن ترفع عينيها عن وجهه:

- انني أنا التي تقرر الناس الذين أتعاطى معهم والأمكنة التي اذهب اليها.

امسك ذراعها بقسوة قائلاً:

- أريد أن أراك على انفراد يا كيلي.

صرخت وهي تشد ذراعها من قبضته القاسية:

- لا...

اشتد غضبه أكثر وقال:

- كيلي...

لكنها قاطعته بحدة:

- دعني وحدي الآن يا نيكولاس.

كانت تتوقع ان يمنعها من الرحيل، لكنه أرخى قبضته بهدوء

وأفسح لها المجال كي تسرع الى الفندق تاركة الرجلين مذهولين في الحديقة الصامتة.

توجهت كيلي الى الهاتف على الفور. لم تعد الأمور تحتمل التأجيل أكثر من ذلك. وخلال لحظات كانت تتكلم الى غاري الذي استمع بصمت الى قرارها النهائي. واحست كيلي أن خطيبها السابق لم يكن منزعجاً، بل لربما كان مسروراً بشكل أو بآخر. ولعله اقتنع هو الآخر أن مشاعرها المترددة لا تكفي لانجاح رحلة عمر مشتركة تمتد لسنين وسنين. وعندما قالا وداعاً لبعضهما البعض لم تستطع كيلي أن تكبت غصة عصفت بصدرها، فمهما يكن من أمر... لقد عجبت بغاري وأمضت معه عدة أشهر جميلة ستظل في ذاكرتها لسنوات.

بعد الانتهاء من هذه المهمة القاسية، عادت الى الكوخ بالرغم من أنها كانت مطلوبة في المطبخ للاشراف على وجبة الغداء. لكنها لم تكن في مزاج يسمح لها بالاحتكاك بأي انسان، حتى بالخدم والطهاة والضيوف!

سحبت خاتم الخطوبة من اصبعها عندما جلست على السرير وهي تفكر كم كانت سعيدة حينما وضعه غاري في يدها لأول مرة قبل أشهر. اما الآن، فقد انتهت العلاقة. وها هي غارقة في حب رجل آخر. ولكنها على وشك ان تفقد الرجلين معاً، وتخرج من تجربتها بذكريات أليمة قاسية.

وبعد لحظات من التأمل في الخاتم الذي كان يعني لها الكثير قبل فترة قصيرة، وضعته في هدوء داخل حقيبة يدها. اذ ليس من الضروري أن ترسله الى غاري الآن، وستعمد الى اعطائه اياه عندما تعود الى دوربان وتلتقيه وجهاً لوجه.

ـ هكذا إذن!
ردت بتلعثم:
ـ نيكولاس؟ لقد... لقد ظننت أنك في باينفيل!
ـ ألهذا قررت الهرب بسرعة؟ أظن أن ماري فشلت في اقناعك بالبقاء حتى الغداء على الأقل!
ـ أنا... هناك باص سيغادر قريباً، ومن الأفضل أن أذهب و...
قاطعها بحزم:
ـ وهكذا قررت مغادرة المكان دون رؤيتي.
قالت بصوت منخفض:
ـ كنت سأقول وداعاً.
أجابها بلا مبالاة:
ـ لا تكذبي علي يا كيلي. كنت تنوين التسلل دون كلمة وداع. وكأن شيئاً لم يحدث بيننا.
واجهته بحزم:
ـ وهل حدث شيء فعلاً؟
ازدحمت تعابير وجهه بمشاعر متضاربة، لكنه قال بنعومة:
ـ اعتقد أن أشياء كثيرة حدثت. وأتذكر الآن لحظة رن جرس الهاتف ليقطع علينا خلوتنا.
وافلتت منها كلمات غاضبة:
ـ كان هذا قبل أن أرى سيرينا بين ذراعيك.
هز رأسه مراراً، ثم قال:
ـ اذن رأيتنا معاً... هذا يفسر الكثير من الأمور.

وعلى حين بغتة تغيرت تعابير وجهه. كانت هناك ملامح شخص ترك للتو ما كان يعتمل في نفس وعقل انسان آخر. وقد انعكس هذا التغير على صوته الذي أصبح أكثر حنواً.
قال وهو يقترب منها:
ـ والى أين أنت ذاهبة الآن؟
ـ الى دوربان...
ـ الى غاري؟
اجابت دون ان تنظر إليه:
ـ أجل.
مدّ يده الى ذقنها ورفعها الى الأعلى:
ـ كذبة أخرى يا كيلي؟
ووجدت صعوبة في الكلام:
ـ أنا... أنا لا أكذب.
قال دون ان يرفع عينيه عن وجهها:
ـ بل تكذبين. اضطرابك يكشف كذبك. انت لن تذهبي الى غاري، لأنك لن تكوني سعيدة معه... تماماً كما لو كنت قبلت عروض اندرو!
احست كيلي بسعادة غامرة. أنها سترحل بعد قليل دون أمل بالرجل الذي تحب، لكن هذه اللحظات ستظل في ذاكرتها الى الأبد. سألته بعد لحظات:
ـ وكيف عرفت بعروض اندرو؟
ضحك بملء فمه وهو يقول:
ـ كيف؟ لأنني أعرفك تمام المعرفة يا كيلي ستانويك. فلست أنت الفتاة الثرية المدللة التي كنت أعتقدها من قبل. وأنا أعرف ان

شخصاً مثل غاري أو اندرو لن يكون مناسباً لك أبداً. والآن اسألك مرة أخرى، هل أنت ذاهبة الى غاري يا كيلي؟ أريد جواباً واضحاً.

لم تستطع أمام نظرته القوية أن تواصل الكذب فقالت بصوت خافت:

ـ لا، لن أعود الى غاري.

واصل كلامه الآمر قائلا:

ـ وما السبب؟ السبب الحقيقي يا كيلي؟

انتهى الأمر، وعليها أن تتحدث بصراحة في لحظات الوداع القاسية هذه... فهي فرصتها الأخيرة الباقية. قالت بصوت متهدج:

ـ لأنني احبك!

وفجأة انهارت القسوة في تعابيره وكلماته، وقال:

ـ كيلي... حبيبتي، هل تقصدين ذلك فعلاً؟

ذهلت كيلي لردة فعله. هل صحيح ما تراه، أم ان خيالاتها المضطربة أوحت لها ذلك؟ ولكن ذراعيه القويتين حولها اكدتا لها صدق ما تحس وتسمع. قال:

ـ كنت أتساءل في أوقات كثيرة عما اذا كنت مجنوناً عندما طلبت من ماري وجورج أن يذهبا في عطلة طويلة!

سألته باستغراب:

ـ عطلة؟

ـ لقد خرج جورج من المستشفى قبل اسبوعين، وكان باستطاعته العودة الى الفندق لو شاء. لكنني طلبت من ماري الذهاب الى شاطىء البحر لتمضية فترة من النقاهة.

ـ ولماذا؟

ـ كي اعطيك الوقت الكافي لمعرفتي، وايضاً لتدركي ان خطوبتك لغاري خطأ كبير.

قالت وهي تنتزع الخاتم من أصبعها:

ـ أنا لست مخطوبة، لقد افترقنا منذ أيام. لكن ماذا عن سيرينا يا نيكولاس؟

ـ عندما رأيتني معها في الحديقة، كنت أودعها، لقد أدركت بعد رحلتنا الى المزرعة أنني أريدك معي دائماً. وعندما جاءت سيرينا الى العشاء تلك الليلة أخبرتها بكل شيء.

ـ ألهذا السبب كنت تبدو شارد الذهن ليلتها؟

سألها باستغراب:

ـ وهل لاحظت ذلك؟

ـ لاحظت؟ بل لم أستطع أن أفهم ما يحدث... لقد شعرت بأن كرامتي جرحت.

أجابها بحنان:

ـ هذه ستكون المرة الأخيرة. لقد قلبت دنياي رأساً على عقب يا كيلي. انت لم تكوني الفتاة التي تصورت. وأنا أحبك من صميم قلبي. كان علي أن أفكر، وأتعامل مع المشاعر الجديدة...

قاطعته بلهفة:

ـ آه يا حبيبي... لقد كنت غبية وقاسية.

ـ وأنا أيضاً يا كيلي... انني أحبك وأريدك. غير أن ماري وجورج يريدان بيتهما، فمتى سنحدد موعد الزفاف؟

ردت ضاحكة:

ـ الأسبوع المقبل؟
أجابها وهي غائبة بين ذراعيه:
ـ بل غداً يا حبيبتي!

لكن الذي لفت نظرها في هذه اللحظة، هو الخط الابيض الذي ظهر حول اصبعها مكان الخاتم المنزوع. لا شك أن نيكولاس سيلاحظ ذلك، فمهما حاولت تجنبه فانهما سيلتقيان حتماً. . . وعندها سيكتشف ذهاب عنوان الخطوبة من يدها. والأكيد انه سيطرح الكثير من الاسئلة والتعليقات، سواء أجابت او لم تجب. فهي لا تريده ان يعرف بحقيقة فسخ الخطوبة، وعلى الأقل ليس قبل مغادرتها الفندق والابتعاد عن العينين اللتين تستطيعان اختراق المظاهر وقراءة أعماق المشاعر.

لذلك أعادت الخاتم الى اصبعها كي لا تعطيه فرصة الملاحظة، بالرغم من احساسها بأن هذا الخاتم اشبه ما يكون بالقيد الثقيل حول نفسها وروحها. لكن المهم ألاّ يعرف نيكولاس فان ميجدين عما حدث فعلاً.

عاد جورج وماري الى الفندق في أواخر شهر آذار (مارس)، وكان الخريف قد بدأ يلوح في الافق. فالاشجار أخذت تفقد أوراقها، والسماء تتلبد بالغيوم والأيام أصبحت ثقيلة. . . مما انعكس على نفس كيلي المشبعة بالهموم بعد مضي شهر كامل على الحادث الذي اودى بجورج الى المستشفى.

كان جورج في صحة جيدة، باستثناء عرج بسيط في ساقه عندما يسير. كما وأن ماري بدت مختلفة تماماً عن آخر مرة رأت كيلي فيها. وقد عمّ السرور الجميع لعودتهما سالمين الى الفندق. وعندما شاهدا على الطبيعة ما قامت به كيلي خلال غيابها، أبديا اعجابهما الشديد، وأصرت ماري على توجيه دعوة خاصة لها كي تعود الصيف المقبل لقضاء العطلة معهما. ومع أن كيلي وعدتهما خيراً، الاّ أنها كانت تعرف في أعماق نفسها ان هذه هي المرة الأخيرة لها في

الفندق.

لم يكن نيكولاس في استقبال ماري وجورج عند وصولهما. فهو مشغول في مزرعته على أمل أن يعود في وقت لاحق قبل الغداء.

وكانت كيلي تأمل أن ترحل قبل مجيئه، وبهذا تتجنب لحظات الوداع القاسية والمحرجة. لقد استطاعت خلال الأيام الماضية ان تجعل لقاءاتها رسمية وباردة، لكن أن تودعه الى غير رجعة فهذا أكثر مما تحتمل. فمجرد التفكير بأنها لن تراه بعد الآن، يجعلها تشعر بانقباض في صدرها. . . وبالدموع تطفح في عينيها.

وبعد ان استقر المقام بصاحبي الفندق، انسحبت كيلي الى الكوخ كي تحزم حقيبتها استعداداً للرحيل. كان اندرو قد رحل قبلها بأيام، مما يعني توديع الموظفين بكلمات قليلة ثم تستقل الباص عائدة الى المحطة، ومن هناك الى دوربان حيث تنتظرها حياة جديدة مجهولة.

استغرقتها عملية الترتيب وقتاً أطول مما كانت تتوقع. وبين الحين والآخر كانت تنظر حواليها في الكوخ الذي اعتادت عليه خلال الشهر الذي أمضته هنا. لقد عاد صاحبا غرفة النوم اليها، لكنها ستظل تذكر اقامتها فيها. . . والمشاعر التي ولدت فيها.

كانت على وشك اغلاق الحقيبة عندما سمعت وقع اقدام على الباب. لعلها ماري جاءت تعرض عليها المساعدة. لكن الخطوات التي اقتربت من غرفة النوم جعلتها ترتجف بشدة، وتشعر بالدم يتجمد في عروقها.

وقف نيكولاس في الباب بقامته الممشوقة وكتفيه العريضين وهو يقول: